وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر * بسكرة *
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قطب شتمة –
قسم العلوم الإنسانية
شعبة تاريخ

عنوان المذكرة

مولود الزّريبي وإسهاماته في الحركة الإصلاحية والصحفية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعداد الطالبة:
* ابتسام حسني

إشراف الأستاذ:
* لخميسي فريح

السنة الجامعية: 2013/2012

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أولا وقبل كل شيء، نشكر الله العلي القدير الذي وفقني لإتمام هذا العمل، وأوصلني إلى هذه الدرجة بغير حول منّا ولا قوة، والذي لا يغيب عن قلوبنا ودائما على شفتينا، والذي هدان إلى صراط المستقيم وجعلنا مسلمين.

أدين بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل أستاذي المشرف "**لخميسي فريح**" الذي كان نعم المرشد والمعين منذ بداية هذا البحث، فلم يبخل عليّ بتوجهاته، وملاحظاته، ونصائحه التي كانت جدّ عظيمة، والتي أثرت هذا البحث و أنارت لي دربي.

كما أتقدم بالشكر إلى الأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة، الذين شرفوني بقبول مناقشة وقراءة هذا البحث والحكم عليه، وما تكبدوه من عناء قراءته وتقييمه بخالص الشكر ووافر الاحترام.

كل من الأستاذين الفاضلين: ((**نصر الدين مصمودي ؛ وفوزي مصمودي**)) على تزويدي بالمراجع، وتقديم النصائح والإرشادات اللازمة.

وبالشكر والتقدير والاحترام أيضا إلى جميع أساتذتي الذين أخذت عنهم كل ما يسر له الله من علم في دراستي بالجامعة.

وكل من الشيخ " **تواتي بلمبارك** " والسيّد "**مسعودي الطيب**" محافظ مكتبة الحقوق والعلوم السياسية ؛ والدكتور" **فوزي نور الدين**" رئيس قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة بسكرة، ومدير ابتدائية بن خرف الله موفق"**جموعي بوزاهري**" ومعلمي في بداية دراستي الابتدائية "**حريز محمد**" الذي لم يقصر هو الآخر في مساعدتي .

جزاهم الله جميعا خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم إلى جميع الأصدقاء والزملاء والإخوان الذين جمعت بيني وبينهم الأيام.

إلى كل من يحترمني ويقدرني أهدي ثمرة جهدي.

حسني ابتسام

قائمة المختصرات:

ج: جزء.

ع: عدد.

د.ت: دون تاريخ.

د.ط: دون طبعة .

د.د.ن: دون دار النشر.

د.ب.ن : دون بلد النشر.

مج: مجلد.

ط: طبعة.

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

تق: تقديم.

تع: تعريب.

مر: مراجعة.

إع: إعداد.

جم: جمع.

تص: تصدير.

مقدمة

مقدمـة:

عرفت الجزائر كغيرها من بلدان العالم الإسلامي، حركة إصلاحية مع بداية القرن العشرين، استهدفت تحسين أوضاع المجتمع في مجالاته الدينية والتربوية والاجتماعية، والتي تنعكس بدورها على المجال السياسي والاقتصادي، وذلك بالرجوع إلى الأصول، ومحاربة مظاهر الجمود، وبالانفتاح على العالم الغربي فيما لا يعارض روح الإسلام.

وقد عبّرت هذه الحركة الإصلاحية عن ماهيتها بطرق عدة مع بداية القرن، واتخذت وسائل مختلفة لتحقيق مشاريعها، كمجال الصحافة الذي يعد من أهم الوسائل الإعلامية التي تستعمل في نشر الدعوة الإصلاحية.

والدارس لعشرينيات القرن الماضي يجده زخما كبيرا، وفيه إرهاصات واضحة الدلالات على حركة إصلاحية آخذة في النمو والتشكل، خاصة في الجزائر، وفي الزيبان، كون الوضعية الدينية بهذه المنطقة، ارتبطت في البداية بحركة اصلاحية ساهمت مساهمة فعالة، ولكن المتتبع لتاريخ منطقة الزيبان، لا يجده حافلاً بالنشاطات الثقافية والعلمية، خاصة في مساجدها، ودور كتبها، التي كانت قبل ذلك، مركز إشعاع فكري وحضاري، إذ حملت رسالة تعليم القرآن، وتهذيب النفوس وتطعيم الفكر، ولم يتوقف دور الزيبان عند هذا الحد، بل تعداه إلى إيصال ونشر معالم الحضارة الإسلامية إلى العالم بأكمله.

وعليه فقد شعر سكان الزيبان كغيرهم من الجزائريين، باحتقار السلطات الاستعمارية الفرنسية للدين بعد أن أصابهم الفراغ الروحي، نتيجة محاربة مقدساتهم الدينية.

فقد عمل الاستعمار الفرنسي على ترويض وتدجين بعض الطرق الصوفية، لخدمة مصالحها، فانحرفت على أداء رسالتها الروحية والعلمية، وقد استطاعت الاستحواذ على العامة الساذجة التي سخرتها لمآربها وأغراضها الخاصة، وهكذا كان إلى جانب الاستعمار قوة أخرى لا تقل عنه نفوذا وسيطرة هي قوة الطرقية، فقد ظهر شيوخ جهلة ومنحرفين ساهموا في جهل الشعب والخروج به من منابع الدين الإسلامي الصحيح.

ومن المصلحين الذين حاربوا البدع والخرافات التي تفشت عند الجزائريين وتصدوا لها بكل ما يملكونه من قوة العلم وصفاء الدين، بمنطقة الزيبان الشيخ "مولود الزّريبي" الذي اخترته كموضوع في مذكرة الماستر، بعنوان: **مولود الزّريبي وإسهاماته في الحركة الإصلاحية والصحفية** .

أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة اعتبارات وأسباب تكمن وراء اختياري لهذا الموضوع والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- ندرة الدراسات العلمية المتخصصة، التي تتناول هذه الشخصية الإصلاحية التي ساهمت مساهمة فعالة، في نشر الوعي العلمي والإصلاحي.
- المساهمة في أن يكون هذا البحث المتواضع لبنة من لبنات البحث في تاريخ الجزائر المعاصر.
- محاولة إبراز البيئة التاريخية التي نشأ وتربى وتعلم فيها الشيخ مولود الزّريبي، منطقة الزيبان والتعريف به لاسيما وقد اتخذته بعض المؤسسات اسما لها.
- الرغبة في التعرف على المسار التاريخي، الذي سلكه العلامة مولود الزّريبي في نشاطه الإصلاحي والصحفي.
- أخيرًا لاعتبارات شخصية وهو أن الشيخ مولود الزّريبي من منطقة زريبة الوادي التي تبعد عن دائرة سيدي عقبة بـ: 60 كلم وهو الأمر الذي يسهل لي فرصة التنقل بكل سهولة للتعرف على المنطقة التي عاش فيها، كذلك الأماكن العمومية التي أخذت اسمه كلقب مشرف لها، وكذا اخذ معلومات من بعض كبار المنطقة.

إشكالية الموضوع:

الإشكالية التي سنحاول معالجتها تتمثل في :

إلى أي مدى كانت مساهمة مولود الزّريبي في الحركة الإصلاحية والصحفية ؟

وللإجابة عن هذا الإشكال طرحت جملة من التساؤلات تتمثل في:

- من هو مولود الزّريبي الأزهري ؟
- كيف نشأ ؟ وما هي بيئته ؟
- ما هي الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي عاش ضمنها ؟
- ما هي العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته ؟
- ما هي أهم رحلاته التعليمية والإصلاحية ؟
- ما هي أهم إجازاته العلمية ؟ وما هي الظروف التي تلقاها من قبل أهل بلدته بعد عودته من الأزهر الشريف ؟
- كيف كانت بداية نشاطه التعليمي في مسقط رأسه زريبة الوادي وفي الأوراس ؟
- فيما تمثلت إسهاماته الإصلاحية في كلا من المنطقتين؟

- وما هي أهم مؤلفاته ؟
- كيف كان نشاط مولود الزّريبي في مجال الصحافة ؟ وما هي الأساليب التي اتبعها في ذلك ؟
- ماذا عن مولود الزريبي الشاعر ؟

منهجية الدراسة:

طبيعة الموضوع الذي يتناول إحدى الشخصيات الإصلاحية، التي عرفتها منطقة الزيبان في أوج فتراتها الحرجة، المليئة بانتشار الخرافات والبدع والضلالات، وهي الطبيعة التي استوجبت وحددت المنهج العلمي المتبع والأدوات المستعملة في الدراسة حيث سنعتمد على منهجين علميين هما:

المنهج التاريخي الوصفي: وهو استعراض الأحداث التاريخية التي عاشت ضمّنها هذه الشخصية عبر مراحلها، مع إبراز البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كل ذلك وفق تدرج وتسلسل زمني محدد وترتيبه حسب الأهمية والتأثير، مع مراعاة كل ماله صلة بالموضوع.

المنهج التاريخي التحليلي: وهو الذي يعتمد أساسا على جمع المادة العلمية التاريخية من وثائق ومعلومات أولا، ثم دراستها وتحليلها والتعليق عليها بعد مقارنتها للخروج بنتيجة تعتبر تفسيرا منطقيا لتطور الأحداث المتمثلة في مسيرة الشيخ مولود الزّريبي من خلال مختلف نشاطاته ومساهماته في الحركة الإصلاحية الصحفية.

أهداف الدراسة:

أما عن أهداف الدراسة فتتمحور في:

- التعريف بدور ومساهمة الشيخ مولود الزّريبي المصلح الديني والصحفي العظيم كموضوع دراسة في بحث علمي أكاديمي لحاجة أجيالنا في التطلع لما قدمه أسلافنا في مقاومة المحتل.
- التعرف على المراحل التي سايرها الشيخ مولود الزّريبي الأزهري من خلال دراسة علمية حول شخصيته ومساهمته في الحركة الإصلاحية والصحفية، بداية من نشأته وتعليمه في بلدته إلى غاية وفاته.
- العمل على نشر الوعي الثقافي والتاريخي بالجزائر، بمنهج علمي يساهم في البحث عن فكر ونضال المصلحين الذين قدموا حياتهم عربون فداءً لهذا الوطن.

خطة البحث:

قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة.

ففي الفصل الأول تناولت بيئة مولود الزّريبي، التي تتمثل في الزّاب الشرقي، حيث تعرضت إلى الإطار العام للزّاب، والذي لابد من الإشارة إليه باعتباره البلد الكبير الذي ينتمي إليه مولود الزّريبي، ويليه مباشرة الإطار الجغرافي العام للزاب الشرقي، هذا الأخير الذي يعد البيئة الأصلية التي عاش داخلها مولود الزّريبي.

ثم تناولت الأوضاع السياسية، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية في الزّاب الشرقي، والتي من خلالها نتعرف على وضع الإدارة الاستعمارية التي طبقتها فرنسا، وكذا القوانين والمراسيم التي فرضها المحتل على سكان الزّاب الشرقي، ومعاناة هؤلاء من جراء هذه السياسة، وأهم العرائض والشكاوي التي ندد بها السكان، وبعدها مباشرة، كما نبين التركيبة العامة للسكان وأهم التقسيمات التي ظهرت على البنية الاجتماعية، كما نتعرف على الوضع الثقافي بالزّاب الشرقي، بما فيه من جوانب التعليم والدين الذين وجدوا سيطرة كبيرة من قبل المستعمر.

أما الفصل الثاني الذي يحمل عنوان مولود الزّريبي من النشأة إلى العودة من الأزهر الشريف، أولا مولد ونسب مولود الزّريبي, ثمّ نشأته وبداية تعليمه في مسقط رأسه والقرى المجاورة له التي انتقل إليها للدراسة، ثالثا أهم الصفات والخصال التي وصف بها الشيخ مولود الزّريبي، سواء ما كتب في المصادر والمراجع أو ما لاحظناه من خلال الصورة، أو ما سمعناه من أهل قريته، رابعا رحلاته التعليمية التثقيفية إلى الأزهر الشريف، للدراسة والتعليم، ثمّ إجازته العلمية، وفي الأخير الظروف الصعبة التي تلقاها بعد مجيئه من قبل أهل بلدته.

أما الفصل الثالث كان بعنوان مولود الزّريبي وإسهاماته في الحركة الإصلاحية والصحفية، فقد توصلت فيه إلى:

بداية بالتعليم بزريبة الوادي والأساليب التي اتبعها مولود الزّريبي، ثمّ انتقاله إلى التعليم بالأوراس(الحجاج) والأساليب الإصلاحية التي اتبعها في ذلك، ثمّ تعرضت إلى أهم مؤلفاته بدور الأفهام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام، باعتباره أهم مصدر دعا إلى الإصلاح والبعد عن البدع والخرافات.

أما النقطة الرابعة فتناولت نشاط مولود الزّريبي في مجال الصحافة (جريدة الصديق)، لنتكلم بعدها عن تلاميذ مولود الزّريبي الذين تخرجوا ولازالوا يذكرونه .

ثمّ تناولت أشعاره، التي في مجموعها تدعوا إلى العلم والخير ونبذ ما هو معادي للإسلام و سابعا وفاته، لننهي هذا البحث بخاتمة والتي توصلت فيها إلى جملة من الاستنتاجات تتناول القيمة التاريخية والعلمية لمولود الزريبي.

لقد أثريت موضوعي بمجموعة من المصادر والمراجع، التي تناولت الشخصية ولو بالنزر القليل، رغم قيمته العلمية والإصلاحية والصحفية. نذكر:

تأليفه بدور الأفهام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام، وأهم مرجع كتب عنه المؤرخ أبو القاسم سعد الله في تأليفه خارج السرب مقالات وتأملات، وأيضا محمد الهادي السنوسي في كتابه شعراء الجزائر في العصر الحاضر، وكتاب محمد الصالح صديق أعلام المغرب العربي، وغيرها من المراجع التي تناولت الموضوع ولو بالنزر القليل، وهي ما شكلت صعوبة البحث حول الشخصية التي قلّت الدراسات العلمية حولها.

فالحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات والشكر له على ما وفقني لانجاز هذه الدراسة.

الفصل الأول

الأوضاع العامة للزّاب الشرقي

(بيئة مولود الزّريبي)

أولا: الزّاب الشرقي:

أ- التعريف بالزّاب:

1- التسمية وتحديد المصطلح:

الزّاب: لغة:

الزّاب عند "بن منظور" في لسان العرب "زأب القربة، يزأبها زأبا، وإزدأبها حملها، ثم أقبل بها سريعًا"[1].

أما صاحب معجم البلدان فيقول: « الزّاب بعد الألف باء موّحدة، إن جعلناه عربيا أو حكمنا عليه بحكمه... ويستدل بابن الأعرابي في قوله: زاب الشيء إذا جرى، وقال سلمة زاب يزوب إذا إنسلّ هربا»[2].

وجاء في القاموس المحيط: « زاب زوبا، أي إنسل هربا، والماء جرى، والزاب بالأندلس أو كورة، منها نهر بالموصل ونهر بالأربل ونهر بين موراء وواسط ونهر بقربه وعلى كل منها كورة وهما الزابان أو الأصل الزابيان والعامة تقول الزابان، وما يجمع حواليهما من الأنهار الزوابي، وزاب ملك الفرس حفرها جميعا»[3].

ويرى الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" بأن: إقليم الزّاب « الإقليم يضيّقه الاستعمال العرفي ويوسعه »[4].

أما "إسماعيل العربي" فيرى: الزّاب مفرد زيبان، وتطلق على المناطق المليئة ببساتين النخيل وتخترقها السواقي والأودية[5].

وفي منجد اللغة والأعلام: "زأب زأبا: شرب شربا شديدا... وزبّ القربة أي ملأها"[6].

الزّاب اصطلاحا:

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، د.ت، مج1، ص ص: 443-444.

[2] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت(لبنان)، 1995، مج3، ص: 123.

[3] أبادي الفيروز، **القاموس المحيط**، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط5، دار صادر بيروت(لبنان)، 1996، ص:122.

[4] محمد البشير الإبراهيمي، **الآثار**، جم وتق: الإبراهيمي أحمد طالب، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1997، ج4، ص: 352.

[5] إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص: 142.

[6] **المنجد في اللغة والأعلام**، الطبعة 42، دار المشرق، بيروت (لبنان)، 2007، ص: 292.

يذكر" البكري" فيقول : « الزّاب "الزيبان" نهران أسفل الفورات وما حولها من الزوابي وعامتهم يحذفون الياء ويقولون زاب[1] وهو البلد المتاخم لإفريقيا[2]». وقد اعتبر البكري أن مدينة طبنة[3] من مدن الزّاب وعاصمته.

يخبرنا "ياقوت الحموي" في كتابه المشترك وضعا والمفترق صفعا « أن مصطلح الزّاب يرتبط بأحد ملوك الفرس القدامى الذي حفر أنهار العراق وسميت بزوابي في صيغة الجمع »[4].

أما الزّاب عند العلامة بن خلدون في القرن 8هـ/14م قد تقلصت حدوده وجعل قاعدته بسكرة إذ يقول: « هذا البلد بسكرة[5] هو قاعدة وطن الزّاب لهذا العهد بقصر الدوسن بالغرب، إلى قصور تنومة[6] وبادس بالشرق ويفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة[7] جبل جاثم من المغرب إلى المشرق... وهذا الزّاب وطن كبير اشتمل على قرى متعددة، متجاورة جمعا جمعا يُعرف كل واحد منها بالزّاب وأولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة[8]، وزاب بسكرة وزاب تهودة وبادس، وبسكرة أم هذه القرى كلها »[9].

في حين "الحسن الوزان" يصفه قائلا مايلي: « يقع هذا الإقليم في وسط مفازات نوميديا، ويبتدئ غربا من تخوم مسيلة، ويحده شمالا جبال مملكة بجاية، ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد[10] التي توافق مملكة تونس،

---

(1) أبو عبد الله البكري، **المسالك والممالك**، تح: مصطفى السقا، ط3؛ عالم الكتب، بيروت(لبنان)، 1983، ج1، ص: 692.

(2) البلد المعروف حاليا باسم تونس. أنظر: عباس كحول، **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزّاب الشرقي 1849-1859م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص المقاومة الوطنية والثورة التحريرية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2010-2011، ص: 3.

(3) طبنة: منطقة بريكة حاليا، وورد اسمها في الوثائق اللاتينية توبونا عند بطليموس في النقوش اللاتينية وتوبوناس الرومانية على مساحة تقدر ب: 80 هكتار حوالي 04 كلم.

(4) ياقوت الحموي، **المشترك وضعا والمفترق صفعا**، ط2، دار عالم الكتب، بيروت(لبنان)، 1986، ص ص: 229-230.

(5) بسكرة واحة ومدينة جنوب الجزائر، وهي أهم واحات الزيبان، أنظر: عبد الحليم صيد **أبحاث في تاريخ الزيبان**، ط1، مطبعة الوادي، الوادي(الجزائر)، 2000، ص ص: 636-637. كذلك أنظر: عبد الحميد زردوم، **بسكرة عروس الزيبان**، د.ط، د.د.ن، د.ب.ن، 2004، ص: 4. كذلك أنظر: إبراهيم محمد السّاسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، تع: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، ط2، منشورات ثالة، الأبيار (الجزائر)، 2007، ص: 31.

(6) تنومة: لم تعد موجودة كانت قرب واد الفيض. أنظر: عباس كحول، ص: 5.

(7) الحضنة: إقليم بالجزائر من أهم مدنه مسيلة.

(8) مليلة: هي مليلي حاليا قرب طولقة ضمن الزّاب القبلي، تبعد حوالي 35 كلم عن بسكرة

(9) عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تر: تركي فرحان المصطفى، ط1، دار إحياء التراب العربي، بيروت(لبنان)، 2006، ج6، ص: 423.

(10) بلاد الجريد: فهو إقليم جنوب تونس وكثيرا ما أعتبر ضمن الزّاب.

وجنوبا إلى القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى ورقلة وهذه المنطقة شديدة الحرارة ورملية، لا يوجد بها إلا يسير من الماء وقليل من الأراضي الصالحة للزراعة، لكن عدد حدائق النخيل بها لا يحصى، ويشمل إقليم الزّاب خمس مدن وعدد كبير من القرى وهي: بسكرة، نفطة[1]، طولقة، دوسن»[2].

أما "دائرة المعارف الإسلامية": فترى أن إقليم الزّاب هو من روافد نهر الدجلة في شكل زوابي"[3]، وعليه نجد أن إقليم الزّاب بمنطقة بسكرة وما حولها، يمتد بحوالي مئة وخمسين كم من الشرق إلى الغرب وما بين أربعين إلى خمسين كم من الشمال إلى الجنوب[4].

ومما سبق فمصطلح الزّاب يرتبط بالمناطق المحصورة ما بين الأنهار والأودية وما تشكله من أراضي خصبة صالحة للزراعة والاستقرار[5].

ويظهر أن إقليم الزّاب يمتد إلى تخوم الأوراس وأحمر خدو والحضنة ووادي ريغ[6] وبلاد الجريد،

فمن بسكرة إلى سيدي خالد حوالي مئة كم، وإلى خنقة سيدي ناجي حوالي مئة كم. ويمكن التمييز بين ثلاثة زوابي[7]:

- الزّاب الظهراوي: ويشمل واحات بوشقرون، فرفا، البرج، ليشانة، الزعاطشة، طولقة.

---

(1) نفطة: لعله يقصد أوماش، وهي مدينة تونسية بالقرب من توزر وجغرافيا تقع هذه المدينة التي شبهها البكري بالكوفة الصغرى في طرف الصحراء الشمالي، وهي تمثل أحد مدن بلاد الجريد. أنظر: محمد حسن، **المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي**، د.ط، جامعة تونس الأولى، 1999، ج1. ص ص: 288-289.

(2) الحسن الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي محمد ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت (لبنان)، 1983، ج2، ص ص ص: 138-139-140 .

(3) رشيد زكي خور وآخرون، **دائرة المعارف الإسلامية**، تر: محمد ثابت الفندي وآخرون، د.ط، د.ب.ن، 1997، ص:318.

(4) محمد العربي حرز الله، **منطقة الزّاب قرن من المقاومة 1830-1930**، د.ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص:22.

(5) عبد الحميد زردوم ، **بسكرة عروس الزيبان**، مرجع سابق، ص: 03.

(6) وادي ريغ: بالقرب من بلدتي جامعة و المغير بولاية وادي سوف حاليا ويصب وادي ريغ في شط ملغيغ، وهو الإقليم الذي يقع جنوب بسكرة ويعني السبخة. أنظر: فوزي مصمودي، **العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري (1514-1575) شخصيته ومواقفه وآثاره**، د.ط، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص: 100.

(7) فتيحة شلوق، **العمارة الدينية بمنطقة الزّاب(دراسة أثرية ومعمارية)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الصحراوية، تخصص الآثار الصحراوية، جامعة بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الآثار الصحراوية، 2007-2008، ص: 20.

- الزّاب الغربي: ويضم واحات أورلال، ليوة، مخادمة، بنطيوس، مليلي، بيقو، أوماش، الصحيرة، مناهلة، زاوية بن واعر[1].
- الزّاب الشرقي: وتشمل واحات سيدي عقبة، سريانة، زريبة الواد، بادس، خنقة سيدي ناجي[2].
- البدو الرحل الجنوب: عرب الشراقة وغرب الغرابة وأولاد سيدي صالح.

إضافة إلى الحضنة وأولاد دراج وأولاد الزيان وبني سويك وبني فرح وأولاد سحنون والقنطرة وبرانس والصحاري، زيادة إلى مقر ولاية بسكرة بأحيائها وقراها: الأبواب، رأس القرية، قداشة، مجنيش، لمسيد، فلياش[3].

إضافة إلى ذلك فهناك بعض المراجع استعملت مصطلحات أخرى : كالزّاب الصحراوي[4] والزّاب الأوسط والزّاب الشرقي.

فمنطقة الزيبان إذن تمتد عبر شريط عرضه حوالي مئة كم من واحة القنطرة، وشمالا إلى واحة الشقة جنوبا، وعبر شريط آخر بحوالي مأتي كم من واحة خنقة سيدي ناجي في الشرق إلى واحة سيدي خالد في الغرب[5] .

ب- الإطار الجغرافي للزّاب الشرقي:

1- الموقع الجغرافي العام للزيبان (بسكرة):

تعد منطقة الزّاب حلقة وصل بين التل والصحراء[6]، فهي البوابة الصحراوية للشمال الشرقي، بمحاذاة الحدود الجزائرية التونسية شرقا وجبال الأوراس شمالا، وهي تعد فاصلا وحاجزا طبيعيا بين التل والصحراء وأما الجهة الجنوبية تغطيها الكثبان الرملية باتجاه شط ملغيغ وواحات واد سوف وواد ريغ[1].

---

[1] إبراهيم مياسي، **(احتلال بسكرة 1844)**، **الخلدونية**، تصدرها الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة(الجزائر)، ع: 2، 2003، ص: 49

[2] عبد الرحمان الجيلالي ، **تاريخ الجزائر العام**، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ج2، ص: 56.

[3] عبد الحميد زردوم، **بطاقة تعريف بسكرة**، تر: أمال هدار، د.ط، مطبعة المنار، بسكرة(الجزائر)، 2005، ص ص: 8-9.

[4] الزّاب الصحراوي: ينحصر بين جبال الزّاب ووادي جدي.

[5] عبد الحميد زردوم، **بسكرة عروس الزيبان**، مرجع سابق، ص: 5.

[6] عباس كحول، مرجع سابق، ص: 8.

أما فلكيا فتقع بسكرة قاعد الزيبان[2] بين خطي طول 5°، 6° شرقا وبين خطي عرض 34° و35° شمالا، وبسكرة مدينة مسورة وعليها خندق وتشتهر بالأراضي الخصبة[3].

في سنوات الاحتلال كانت تقسم الزيبان إلى واحة بسكرة والزّاب الظهراوي الزّاب القبلي والزاب الشرقي وقيادة سي المقران والبدو الآخرين[4]، وهذا في إطار مشيخة العرب[5] والتي تعود إلى تولي شيخ العرب الأول علي بوعكاز بن السخري الذوادي الرياحي سنة 1541م، مع بداية الحكم التركي بالزيبان[6].

لكن الحاج أحمد باي عين على الزيبان خاله بن قانة في نفس سنة وصول فرحات بن السعيد إلى المشيخة في 1821م، مما فتح مجال الصراع السياسي بالمنطقة على مشيخة العرب وازدادت ضراوة بعد احتلال الزيبان 1844م[7].

أما "الدوق دومال"[8] فقد أصدر في 23 أوت 1844 تنظيما جديدا للجنوب القسنطيني، عين بموجبه الرائد "طوماس"[9] قائد للمكتب العربي وتحت إدارته أربعة مسؤولين من الأهالي[10].

2- الزّاب الشرقي:[11]

---

(1) إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1939**، د.ط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص: 27.

(2) كريم الطيب، **المعالم الأثرية الإسلامية في منطقة الزّاب الشرقي(دراسة تاريخية وأثرية)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار الصحراوية، تخصص الآثار الصحراوية، جامعة بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الآثار الصحراوية، 2008-2009، ص: 02.

(3) إسماعيل العربي، **المدن المغربية**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص: 182-183.
أنظر: مختار حساني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، د.ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج2، ص: 5.

(4) إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 71.

(5) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، ط2، دار المعارف ودار الكتاب، البليدة (الجزائر)، 1963، ص ص: 185-186.
أنظر: أحمد توفيق المدني، **هذه الجزائر**، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة(مصر)، د.ت، ص: 120.

(6) محمد خير الدين، **مذكرات**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ج1، ص: 42.

(7) عباس كحول، مرجع سابق، ص: 9.

(8) الدوق دومال: الدوق هنري دومال الابن الرابع للويس فيليب ملك فرنسا، حاكم قسنطينة وقائد حملة احتلال بسكرة.

(9) طوماس: جوزيف طوماس ولد في 1812م وتوفي في 1859م، عين عل المكتب العربي الذي أسسه لاموسيار.

(10) قيادة العرب بوعزيز بن قانة الذي منح منصب خليفة الصحراء في واحة بسكرة والزّاب الظهراوي والقبلي والبدو والآخرين إضافة إلى قيادة سي المقران والزّاب الشرقي. أنظر: إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص: 71.

(11) أنظر الملحق رقم: 1.

حيث نجد الزّاب الشرقي يمتد شرق الزيبان[1] ويشمل: سيدي عقبة، وخنقة سيدي ناجي، ليانة، زريبة الوادي، بادس، لقصر، الفيض، الذيبية، نفيضة الرقمة، رويجل، طوماس، المزيرعة، سيدي مصمودي، تهوده، سريانه، شتمة، عين الناقة، الحوش، وتخوم الأوراس وأحمر خدو[2].

إذ يحدد إطاره الكاتب الفرنسي August in challamel في قوله :

" الزّاب الشرقي يقع مابين 30 و100 كم شرقي بسكرة ويشمل على واحات زريبة الوادي وزريبة حامد وبادس والقصر وليانة "[3].

ويعرف أيضا: الزّاب الشرقي يمتد على طول 100 كم من العالية إلى خنقة سيدي ناجي وبعرض30 إلى50 كم ويمتد من بسكرة إلى واد العرب شرقا وإلى شط ملغيغ جنوبا، وهو سهل تخصبه بصورة مستمرة كميات الطمي التي تجلبها شبكة الأنهار التي تهبط من جبال الأوراس وجبل ششار[4].

أما من حيث المراسيم فإن إقليم الزّاب الشرقي وفقا للمراسيم الاستعمارية المؤرخة في 1862م، 1883م، 1887م، 1902، 1905م، تقدر مساحته بحوالي 635,243 هكتار فهي تبعد بحوالي 80 كم عن بسكرة بين دائرتي عرض 34°، 35° شمالا وبين خطي طول 5°، 6° وينقسم هذا الإقليم إلى جزء شمالي عبارة عن سهل واسع تتوسطه بعض الواحات والأراضي الزراعية قرب أماكن المياه، وهي آهلة بالسكان، ومنطقة ثانية بالجنوب كثيفة التربة ومرتبطة بالسلاسل الجبلية عن طريق مياه الوديان، وتنتهي في أغلبها عند شط ملغيغ[5].

---

(1) August in challamel, **Biskra et les oasis Envir onnantes par l'able jean hurabielle**, librairieie maritime et coloniale, paris, 1898, P : 127.

(2) فوزي مصمودي، **بسكرة بعيون عربية (الرحالة الجغرافيون والمؤرخون والكتاب والشعراء العرب)**، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص: 186.

(3) M.C.jonnart, **Zab-ghargui** (**Situation générale des territoires du sud de l'Algérie**), imprimerie Administrative victor heintz, Alger, 1907, P : 221.

(4) عبد الحميد زوزو، **الأوراس إبان الاستعمار الفرنسي(التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837-1939)**، تر: حاج مسعود، د.ط، دار هومة، الجزائر، 2005، ج1، ص ص: 35-36.

(5) عباس كحول، مرجع سابق، ص: 11.

ومن واحات الزّاب الشرقي نجد: العالية، وفلياش، ويقعان على يسار الوادي ويبعدان عن بسكرة ما بين اثنين إلى ثلاثة كم، أما واحة شتمة فتبعد بحوالي ستة كم عن المقر، وواحة الدروع، وواحة سيدي خليل، وواحة سيدي عقبة...، أما تخوم احمر خدو والأوراس المرتبطان جغرافيا وتاريخيا بالزّاب الشرقي، فمنها بلدة خيران، لقصر، بادس، زريبة حامد، زريبة الوادي، خنقة سيدي ناجي، الليانة[1].

الزّاب الشرقي يضم كل من: أولاد زرارا، وأولاد أعمر، وليانة والقصر وبادس وزيبة حامد[2] وزريبة الوادي، « وهي قرية في الشرّق من بسكرة تبعد عنها بإثنتين وثمانين ميلا، آهلة بالعرب ذات آبار وليس لسكانها غيرها من مستقى إلا ما تجود به السماء من الغيث فينساب بواديها فتعترضه السدود فينتشر على المزارع، فتصلح بذلك فلاحة المزروعات وتعشوشب السهول والأنجاد.

ويرجع أصل تسميتها إلى بداية تعميرها بالزّرائب التي أقيمت على ضفاف الوادي بالجريد وجذوع النخل قصد اصطياد القطط والطيور ومن ثمّ أطلقوا على المكان بزريبة الوادي[3].

ثانيا: الزّاب الشرقي والاحتلال الفرنسي:

1- مقاومة خليفة الأمير عبد القادر محمد الصغير بن أحمد بلحاج:

مقاومة خلفاء الأمير ضد القوات الفرنسية، تجلت بوضوح بالزّاب الشرقي بعد احتلال مدينة بسكرة، في مارس 1844 مع خليفته الثالث "محمد الصغير بن أحمد بلحاج" بعد الغدر بسابقيه "فرحات بن السعيد" في شهر سبتمبر 1841 من طرف القبائل الموالية لأولاد بن قانة حيث استطاع محمد الصغير بلحاج الذي كان مقدما لبلدة سيدي عقبة قرابة ثلاث سنوات، ابتداء من سنة 1843 من قيّادة المقاومة ضد الفرنسيين وعونهم

---

[1] جمال عناق، **المنشآت المائية وطرق استغلالها في منطقة الزّاب الشرقي(دراسة أثرية تاريخية)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار الصحراوية، تخصص الآثار الصحراوية، جامعة بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الآثار الصحراوية، 2008-2009، ص ص: 12- 13. أنظر: عبد الحميد زوزو، ص ص: 65-66.

[2] زريبة حامد: بلدة صغيرة تقع في أقصى الزّاب الشرقي، وتتبع حاليا بلدية الفيض، ولاية بسكرة.

[3] محمد الصالح حثروبي، **قطف الجنان في تاريخ الزيبان (دائرة زريبة الوادي)**، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص: 55.

بوعزيز بن قانة[1] بمنطقة الزّاب الشرقي، والجهة الجنوبية الغربية للأوراس، بعد إثارة همّم سكانها على الجهاد، الذي تمكن منهم في أوائل سنة 1844 من استعادة بسكرة، وقتل الحامية الفرنسية المتواجدة بداخل قصبتها، والتي لم يمكث بها طويلا حتى قرّر إخلاءها وتوجّه إلى الأوراس لجر القوات الفرنسية الوافدة بقيادة "الدّوق دومال"(Duc d'Aumale) والتي دخلت بسكرة بعده في 4 مارس 1844[2].

وهو ما وقع فعلا بجبال أحمر خدو أين دارت معارك ضاربة، بلغت حد الاقتتال بالسلاح الأبيض في كل من مشونش والوادي الأبيض، تمكن خلالها المجاهدون من قتل ضابط وعدد من الجنود الفرنسيين، كما قتلوا عند هجومهم على مركز باتنة، 61 جنديا فرنسيا كانوا متواجدين به. ليلجأ بعدها الخليفة محمد الصغير إلى بلاد الجريد مؤقتا إلى غاية سنة 1845، أين يعود من جديد كما يقول" سيروكا" ليكتسح الصحراء تزامنا مع حركة الجهاد التي أعلنها "الشريف أحمد بن بلقاسم النموشي" في الزّاب الشرقي، الذي هاجم القوات الفرنسية المتمركزة في ليانة وبادس والخنقة في أوائل شهر نوفمبر 1846. ليستقر بعدها الخليفة نهائيا بنفطة بالجريد التونسي، وهو الاستقرار الذي لم يثن عزمه، كما لم تثن عزيمته نهاية مقاومة الأمير عبد القادر من تلبية نداء واجب الجهاد من جديد أثناء قيام ثورة واحة الزعاطشة في أواخر سنة 1848[3].

2- مقاومة الزعاطشة[4] ومساهمة سكان الزّاب الشرقي فيها:

بعد استسلام "الأمير عبد القادر" في 1847م و"أحمد باي" 1848م[5]، تحرك الشيخ "أحمد بوزيان"[6]، شيخ واحة الزعاطشة الذي كان من موظفي الأمير عبد القادر بمرتبة شيخ، بالدعوة للجهاد ضد المحتل، وقد ساهمت عدة أسباب في اندلاعها أهمها: رفض الاحتلال للزيبان ولكل القطر الجزائري، وسياسة الغطرسة

---

(1) محمد خير الدين، مرجع سابق، ص: 56.

(2) لخميسي فريح، **دور العقيد أحمد بن عبد الرزاق حمودة (سي الحواس) في الثورة التحريرية (1954-1959)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص المقاومة والثورة التحريرية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2008-2009، ص ص: 36-37 .

(3) العربي منور، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر**، د.ط، دار المعرفة، باب الوادي (الجزائر)، 2006، ص:109.

(4) الزعاطشة: واحة قرب ليشانة تابعة لدائرة طولقة، تبعد عن بسكرة بحوالي 40 كم.

(5) العربي منور، مرجع سابق، ص ص: 109-110.

(6) الشيخ بوزيان: كان يشتغل منصب شيخ واحة الزعاطشة، عينه البركاني ممثل الأمير عبد القادر.

الاستعمارية بالزيبان من خلال عمليات القمع والاعتداء على الحرمات، إلا أن العامل الأساسي هو رفض الاحتلال واستمرار روح الجهاد في الشعب الجزائري[1].

وقد أشعلت التصرفات المتعجرفة للملازم "سيروكا"[2] فتيل شرارتها عندما حاول صحبة شيخ طولقة "بن الميهوب" إلقاء القبض على الشيخ بوزيان بعدما انتشرت أخبار على توافد العروش والقبائل والزوايا إليه تحضيرا للثورة، فتعرضت الفرقة العسكرية المصاحبة لسيروكا لهجوم من أتباع الشيخ بوزيان بالزعاطشة[3].

وعلى إثر تقرير الضابط "سيروكا" عن الأحداث، طلب بدوره الضابط "دوبوسكييه" رئيس المكتب العربي من سكان واحة الزعاطشة تسليم بوزيان، لكنهم أعلنوا استعدادهم للتضحية في سبيل الله، وما لبث أن تحمس سكان فرفار وفوغالة وبوشقرون وطولقة، للثورة وتمردوا عن السلطة الفرنسية، فتحرك بن بوعزيز بن قانة بأمر من النقيب "لاقرونيه" بمحاصرة الزعاطشة وفرفار وليشانة وعزلها باستعمال قوات القوم إلا أن لهيب المقاومة انتشر والمدد وصل تباعا من كل النواحي[4].

بدأت مقاومة الزعاطشة بحصار العقيد "كربوشيا" للواحة في 16 جويلية 1849 لكنه تلقى هزيمة نكراء على يد المقاومين، وأوشك أن يقضى عليه من طرف الإمدادات التي وصلت من مسيلة وبوسعادة وأولاد نايل الذين هبوا لنصرة بوزيان[5]، مما زاد في حماس الناس للجهاد، خاصة مقدمي الطرق الرحمانية أمثال الشيخ "عبد الحفيظ الخنقي"(الخنقة)، والشيخ" بن شبيرة"(بوسعادة)، والشيخ "المختار"(أولاد جلال) والشيخ "الصادق بلجاج"(سيدي مصمودي) بالأوراس، رغبة بالدعوة للجهاد ضد الاحتلال.

3- مقاومة عبد الحفيظ الخنقي:

رغم انحراف الطرقية في بداية عملها بدعم من الاستعمار الفرنسي، إلا أنها بعد ذلك استطاعت أن تدرك بأن لها دور هام وهو الجهاد والعمل ضد الاحتلال الفرنسي، وهذا ما ينطبق على الزاوية الرحمانية وشيخها "عبد الحفيظ الخنقي"[6]، فبقدر ما كان شيخا ومتصوفا، كان مجاهدا، فاستنفر مريدي وإخوان الرحمانية بالزّاب الشرقي وأحمر خدو والنمامشة والأوراس، لنصرة الشيخ بوزيان في واحة الزعاطشة، بل

---

(1) عباس كحول، مرجع سابق، ص: 38.

(2) سيروكا: نائب قائد المكتب العربي حينها ببسكرة. أنظر: عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص: 129.

(3) لخميسي فريح، مرجع سابق، ص: 38.

(4) انتشرت بالزيبان وتفاعل معها أولاد نايل والحضنة وبوسعادة والأوراس وأحمر خدو بدعم من مقدمي الرحمانية والشيخ حامد بلحاج ببوسعادة بن جودي شيخ أولاد زيان .

(5) إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر** مرجع سابق، ص: 64.

(6) عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص: 99.

خطط لتحرير وفك أسر مدينة بسكرة نفسها، ممّا جعلها من بين أعنف المعارك التي خاضها الفرنسيون في الجزائر، لما كلفتهم من خسائر بشرية تمثلت في حوالي 1000 رجل بين قتيل وجريح، كان في مقدمة هؤلاء القتلى الرائد "سان جرمان" في وادي براز بسريانة بالقرب من سيدي عقبة 1849م[1]، الأمر الذي دفعهم لارتكاب أبشع الجرائم في حق سكانها باعتراف الجنرال "هربيون"(Herbillon) قائد القوات نفسه عندما أقر قائلا: ((أخذت الزعاطشة عنوة يوم 26 نوفمبر على الساعة الثامنة بعد أن قاتل "بوزيان" و"الشريف سي بوحامد" رفقة 7 إلى 8 آلاف رجل دون هوادة ولم ينج منهم واحد. بعدها قطعنا 7000 نخلة في الزعاطشة و3000 في ليشانة ودمّرنا الواحة عن آخرها)). وبعدها مباشرة قام عبد الحفيظ الخنقي بالتنسيق مع الصادق بلحاج ومحمد الصغير بلحاج لمواصلة الجهاد واسترجاع بسكرة في اجتماع 4 نوفمبر1849م، حيث جهز كل من الزّاب الشرقي وأحمر خدو ألفا فارس وخمس مئة أخرى قادمة من الجريد وخمسين من واد سوف[2].

4- مقاومة الصادق بلحاج 1858:

لقد عمل الصادق بلحاج شيخ زاوية سيدي مصمودي، فرع الطريقة الرحمانية بجبل أحمر خدو على مبدأين هامين هما: التعليم والجهاد، ضد الفرنسيين ،حيث أصبحت مركزا للتعليم الديني والسياسي.

فبعد القضاء على مقاومة الحاج عمر ولالا فاطمة نسومر1857م، ظهرت حركة الصادق بلحاج بالأوراس والخنقة وبسكرة لمواصلة الجهاد[3]، في ظرف جديد تميز بتعيين وزارة الجزائر والمستعمرات التي تركت العنان للجيش في الجنوب، إضافة إلى مصادرة الأراضي ومراقبة الزوايا والزيارات وتضييق الخناق

[1] عباس كحول، مرجع سابق، ص: 94.

[2] نفسه، ص ص: 94-95 .

[3] عباس كحول، مرجع سابق، ص: 120.

عليها، وغطرسة القياد وعلى رأسهم "ابن شنوف"[1]، ومحاربة الثقافة العربية الإسلامية من خلال مناشير التعليم الفرنسية وإجبار السكان على إرسال أطفالهم إلى المدارس الفرنسية[2].

وهكذا عمل في مقاومة الزعاطشة ودفع بأبنائه فيها حيث قتل ابن عمه "سي محمد" بمعركة سريانة 1849، وساهم في حماية أحمد باي في قلعة "عبد الرحمان كباش"، والتحالف مع محمد الصغير بلحاج وقطع الإمدادات على العدو باعتراضه قوافل التموين الفرنسي بالقنطرة. وقبلها معركة مشونش 1844م حيث جمع سبع مئة مجاهدا يقودهم باعتباره أهم رجال الرحمانية بالزّاب الشرقي وأحمر خدو الأوراس بعدما آلت المشيخة الرحمانية إليه بوفاة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي 1850م[3].

لقد عمل الصادق بلحاج وابنه إبراهيم بإصرار على الجهاد وطرد الاحتلال، وعلى كل فإنّ حركة الشيخ "الصادق بلحاج" التي استمرت إلى جانفي 1859، قد شملت سكان جبل أحمر خدو، وبني سليمان، سيدي عقبة، ومشونش[4]، وشهدت معارك ومناوشات مع العدو لم يوقفها سوى تلك القوات الضخمة التي جاء الجنرال "ديفو"(Desvaux) إلى المنطقة، المدعمة بقوم "ابن شنوف" التي تمكنت في 19 من الشهر من أسر الشيخ رفقة حوالي مائة من عائلته وأتباعه، ليتم سجنه بعد محاكمته بسجن الحراش، أين توفي سنة 1862. فقد وصف شارل فيرو Charl-Feraud الصادق بلحاج وابنه إبراهيم" بالمتعصب العنيف"[5].

إن كل التقارير الصادرة عن المكاتب العربية وشيوخ العرب، تأكد أن تاريخ الشيخ الصادق بلحاج في مشونش والقنطرة وأحمر خدو والزّاب الشرقي والأوراس لا ينسى والدليل تفجير ثورة الأوراس 1879م[6].

رابعا: الأوضاع السياسية في الزّاب الشرقي:

وقع جزء كبير من الزيبان تحت ما عرف بالحكم العسكري، الذي ساد تراب الجنوب الجزائري، في حين وضع شماله تحت الحكم المدني مثل بسكرة، وقد تم تنظيم بلديات الجنوب في سلسلة من القرارات من

---

(1) حسب قرار المكتب العربي في 1844/02/01م، تمارس المكاتب العربية مهام متابعة رجال الزوايا وإرهاقهم وكسب بعض الأعيان وتشتيت الأعراش والشخصيات النافذة بمنطقة الزّاب.

(2) منها منشور أفريل 1851 وما يليه من مناشير إلى غاية 1858م، التي تنظم شؤون الدين الإسلامي، بإنشاء هيئة دينية إسلامية من خلال عمليات الإحصاء وتحديد المهام والميزانية وضبط الرقابة، ثم فرض التعليم الفرنسي على السكان. أنظر: عباس كحول، مرجع سابق، ص: 120.

(3) عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص ص ص: 150-151-152.

(4) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ج1، ص: 381.

(5) نفسه، ص ص: 156-157.

(6) أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص: 381.

الحاكم العام أهمها قرار 20 ماي 1868، و13 نوفمبر 1874 المتعلق بالبلديات المختلطة، وأيضا قرار 7 أفريل 1884[1].

وفي البلديات الأهلية (الجزء الشمالي) تتكون اللجنة البلدية من رئيس الملحقة (متصرف البلدية) وينوب عنه الضابط الأول، ويختار رئيس الملحقة عددا من الأوربيين معه، إضافة إلى رؤساء الملحقات أو المراكز التابعة للملحقة ومجموعة من الأعيان الأوربيين يعينون من طرف الحاكم العام لمدة ست(06) سنوات، إضافة إلى قياد يمثلون جزء منهم، يعين من قائد القطاع العسكري لمدة ست سنوات.

أما في الجزء الجنوبي فيترأسها القائد الأعلى الذي ينوب عنه رئيس مكتب شؤون الأهالي (رئيس الملحقة أو نائبه)، وفي حين ينتحب الأوربيون ممثليهم، ويعين الحاكم العام قيادا يمثلون القبائل الأهلية [2].

وهكذا بقي الزيبانيون تحت حكم قاس في الجنوب وحكم مدني تسيطر عليه الجالية الأوربية في شمالها، ولعب شيخ العرب بن قانة ورؤساء القبائل دورا في الحفاظ على الاستعماري في المنطقة، فمن خلالهم توزع الأوامر، وتجبي الضرائب، ويحفظ النظام، خاصة أثناء الأزمات والاضطرابات، ومن أهم هذه العائلات ابن قانة، وابن شنوف(أولاد صولة)، وبوعكاز (الذواودة)، وبن حسين(بن ناصر)[3].

خامسا: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الزّاب الشرقي:

إن التركيبة الاجتماعية واللغوية لمنطقة الزيبان، تتمثل في الهجرات التي عرفتها المنطقة في الحادي عشر ميلادي، حيث تكاثرت وتوسعت في المنطقة مثل: أولاد زكري والعرب الشراقة والعرب الغرابة وبني سليم، إضافة إلى العنصر الزناتي (البربري) الذي اختلط بالعرب وبالنساء الحرطانيات ولكنه قليل.

وعموما فسكان المنطقة ينحدرون من هذه الأصول، حيث بلغ عدد المهاجرين، حوالي ثلاثة وثلاثون ألف 33000 من بني سليم، وحوالي ستة وأربعون ألف 46000 من بني معقل، وحوالي مئة وخمسون ألف 150000 من بني هلال، أي ما يزيد عن مئتي ألف 200000، أما اليهود فقد شكلوا بدورهم نسبة هامة منذ

---

[1] عبد القادر قوبع، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزّاب بين سنتي 1920 و1954**، مذكرة تحرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص تاريخ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 2007-2008، ص:11.

[2] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، مرجع سابق، ص: 186.

[3] محمد العيد مطمر، **(التنظيم الإداري وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان منطقة الأوراس)**، **مجلة العلوم الإنسانية، جامعة**، محمد خيضر(بسكرة)، ع:4، ماي 2003، ص ص: 42-43 .

عهد سلطنة بني جلاب الذين جلبوهم كخدم، وحافظوا على ذاتيتهم عندما رفضوا العهد الفرنسي عام 1870[1].

وهنا نجد التقاء الزّاب بأحمر خدو والأوراس، ويظهر هذا التمازج بشكل جلي في الزّاب الشرقي وحواف أحمر خدو والأوراس[2]، وعليه ينقسم الزّاب الشرقي بعد احتلال منطقة الزيبان من طرف الاستعمار الفرنسي إلى:

سكان الحضر: وهم أهل الصناعة والتجارة والفلاحة والسلم[3]، وهم سكان المدن، حيث نجدهم يمتلكون الكثير من المنتوجات الزراعية والحرف التقليدية وكانت تجارتهم مزدهرة.

حيث يظهر لنا أن السكان كثيرا ما كانوا يلجئون لحاضرة من حواضر الزّاب الشرقي ألا وهي: خنقة سيدي ناجي[4] التي اشتهرت بمنتوجاتها الزراعية (تمور، زيتون، الحنة، فواكه، خضر، بقول، لحوم، السمن) وقد اشتهرت كذلك بنشاطها التجاري حيث بها 12 محلا لليهود وتستقبل حتى سكان نفطة إضافة إلى الحرف التقليدية وتربية المواشي[5] وقد بلغ عدد سكان خنقة سيدي ناجي حسب ما قدره هيربيو Herbillon [6] بحوالي 150 ساكن بينما كاريت Carrette[7] ذكر 400 منزل منهم 1650 عربي و1200 بربري لعام 1839 وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه الضابط ديماري Desmaret [8] الذي اعتبر أن عدد منازل الخنقة ما بين 150

---

[1] عباس كحول، مرجع سابق، ص: 14.

[2] عبد القادر حليمي، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 – دراسة جغرافية المدن**، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص: 213.

[3] عباس كحول مرجع سابق، ص: 14.

[4] تأسست في أوائل القرن الحادي عشر الهجري الموافق لـ 1602م قدِم الوليّ الصّالح سيدي لمبارك بن ناجي من تونس إلى هذّا الموضع الذي كان يطلق عليه من قبل: مورد النّغام، وكان بصحبة سبع فرق منها: لواتة، سدراتة، هزايرة...إلخ، وشَرع مع من أتى بهم في التخطيط والبناء(ابتداء بالمسجد) ثم أمر بتعمير الأرض بغرس الأشجار المثمرة وخاصة النخيل بع ما تّم مدّ ساقية للرّي، ويذهب الكثير إلى أنّ الذي أطلق عليها اسم خنقة سيدي ناجي هو سيدي مبارك والمقصود بالخنقة المكان الضيق المحصور بين الجبال. أمّا سيدي ناجي فهُو والد سيدي المبارك (وليّ صَّالح دفين تونس)، أنظر: محمد العدواني، **تاريخ العدواني**، تق وتح وتعل: أبو القاسم سعد الله، د.ط، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، د.ت، ص:302.

[5] M.C.jonnart, op-cit, P P : 222-223.

[6] هيربيو Herbillon : الكولونيل الذي قاد الحصار والحملة على الزعاطشة 1848-1849.

[7] كاريت Carrette: عضو قيادة حملة دومال ولد 1808 ومات 1878.

[8] ديماري Desmare : ضابط شارك في حملة الضابط بيدو 1845 على المنطقة.

إلى 200 منزل في 1845 وهو تأكده سجلات الضرائب[1] التي تدفع لبايلك الشرق فقد ساهم سكان الزّاب الشرقي في ازدهار مداخيل البايلك التي تحولت بفعل الاحتلال لخدمة الأغراض الاستعمارية الفرنسية[2].

سكان البدو الرحل: وهم أعراب تصعب السيطرة عليهم وهم همزة وصل بين الشمال والجنوب لكن كثيرا ما تقع عليهم الغارات جراء صراع العشب والماء[3]، وهم: « أولاد عمر، أولاد بوحديجة الخذران، أولاد فارس، أولاد بورافع، أولاد صولة». ومن خلالها فالأعراش الكبرى بالزّاب الشرقي هي: أولاد نايل بفروعهم، أولاد سيدي الصالح[4]، أهل بن علي، أولاد صولة، السوامع...

وهكذا نجد أن السياسة التفقرية ساهمت في حياة اجتماعية واقتصادية قاسية لسكان المنطقة، فقد ساهم تحالف الإدارة الاستعمارية مع المكتب العربي ورؤساء القبائل وشيوخ الطرق الصوفية والزوايا في عدم النظر إلى أحوال سكان المنطقة، وانعكست بالسوء عليهم، نتيجة العرائض التي قدموها[5] في عهد تيرمان، ففي رسالة مؤرخة في 10 جوان 1902 بعث بها سكان الزّاب الشرقي إلى الوالي العام بالعاصمة يقولون فيها « ومن أجل ذلك حصل لنا نقص عظيم في ديننا ودنيانا وما احتياجنا وعجزنا لم نقدر على تعميره...» كما نجد سكان الزيبان بصفة عامة قد ضجروا من الوضعية المزرية التي آلت إليها مساجدهم، ففي رسالة مؤرخة في 29 سبتمبر 1902 وجهت إلى حاكم قسنطينة يصفون فيها حالة أهالي بسكرة والوضعية المزرية التي آل إليها مسجد "سيدي الجودي" الذي يقولون أنه أوشك على الانهيار بقولهم: «إن بناءه قديم جدا له ما يقارب عن القرنين والمطر تنزل وتسيل من أعلاه إلى أسفله ومن اجل ذلك يتعذر على المصلين أداء الصلاة فيه، نطلب من كريم فضلكم أن تنعم علينا بتجديده على أسلوب متقن وأساس محكم لا يحتاج بعده للإصلاح »[6].

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديث والمعاصرة**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ج2، ص: 214.

(2) ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 2000، ص: 117.

(3) أبو القاسم سعد الله، القاضي **الأديب الشاذلي القسنطيني(دراسة ونصوص)**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص: 31. أنظر: الحسين الورتلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تح: محمد بن أبي الشنب، د.ط، بيير فونتانا، الجزائر، 1908، ص ص: 110-111 .

(4) M.C.jonnart, op-cit. P: 223.

(5) عبد القادر قويع، مرجع سابق، ص: 12.

(6) أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية**، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص: 62- 63 .

وعلى الرغم من تعدد الشكاوي للإدارة الفرنسية، فإنها لم تبادر بها، وظلت على سياستها التغريبية، حيث في عهد "جونار"[1] شهدت موجة كبيرة من الهجرة نحو المشرق من نواحي زواوة والزيبان (حيث عائلة الزّريبي) ومن الهضاب العليا ومعسكر وتلمسان، سيما سنة 1911، وهي الهجرة التي عزّاها البعض إلى سن قانون الخدمة العسكرية الإجبارية، ومم يذكر أن منطقة الزيبان (نواحي بسكرة ولأوراس) عرفت حركة هجرة منذ الثمانينات من القرن الماضي، وأبرز العائلات التي هاجرت منها هي عائلة الشيخ الطيب العقبي حوالي1895[2].

وقد شكلت قضية التجنيد الإجباري محطة هامة، إذ حملت رجال الزوايا وشيوخ الطرق مع الإدارة الاستعمارية رغم اشتداد ثورة الأوراس 1916 التي أعادت للأذهان بطولات المقاومات الشعبية وأشعلت تحديا جديدا لطرد العدو[3].

وهو الأمر الذي دفع بعض الفرنسيين إلى استنكار هذه الأوضاع مثل جان مبليا الذي خصص كتابا حول الحكم العسكري بالجنوب، ورغم ظهور قانون النظام الأساسي لأراضي الجنوب الجزائري في سنة 1902 وإلغائه الحكم العسكري في أراضي الجنوب(المادة 50) لكن لم يتحقق منه شيء.

فأخضع قانون 26 مارس 1873 الأملاك العقارية للقانون الفرنسي، مما أدى إلى تلاشي الملكية القبلية وأضعف تضامنها ووحدتها، بينما منع قانون 30 ديسمبر 1887 السكان من شراء الأراضي من الأوربيين[4].

وعليه نجد أن سكان الزّاب الشرقي، أصبحوا مقيدين من قبل الاستعمار الفرنسي الذي صادر كل أملاكهم وساعده في ذلك بعض رجال الزوايا وبعض قدماء المحاربين مع الإدارة الاستعمارية في ظهور طبقة إقطاعية سيطرت على الأراضي والواحات مثل "عبد الحفيظ بن سي محمد الأزهري" الذي سيطر على نسيغة وامتد نفوذه إلى مناطق أخرى، وكذلك "الأمين بن الطيب"(ابن خال الأول) الذي يملك في خنشلة مئة (100)

---

[1] ولد عام 1857، تولى حكم الجزائر ثلاث مرات، ويبدوا أن سياسة هذا الوالي كانت أخف وطأة من سياسة الولاة المستعمرين الآخرين، إذ استمال طبقة العلماء واستطاع أن يؤلف منهم سدنة وينصبهم على كراسي الإفتاء لصالح الحركة الاستعمارية، كما أنه بارك إصلاحات 1919.

[2] أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ...**، مرجع سابق، ص: 63.

[3] عبد القادر قويع، مرجع سابق، ص: 12.

[4] عبد القادر قويع، مرجع سابق، ص: 14.

هكتار وسبعمائة (700) نخلة في شتمة وليانة وسيدي عقبة، إضافة إلى نقص المياه والري في الواحات وإستلاء الأوروبيين على النخيل[1].

وهذا ما جعلهم في منتصف شهر ماي، ينتقلون إلى الشمال بحثا عن العمل ويستقرون في الأراضي القسنطينية[2]، كما نجدهم في بعض الواحات والأراضي الزراعية التي كانت تربتها خصبة وزارعتها جيدة، وكان استقرار سكان الزّاب الشرقي قرب الأماكن الجبلية، التي تتوافر فيها مياه الوديان والتربة الخصبة التي تكون صالحة للزراعة، حسب نمط سنوات الزراعة، إلى جانب ذلك نجد أن الزراعة تتركز في شرق سيدي عقبة، لتوفر السواقي المنحدرة من الأودية لأن مياه الأمطار في تلك الفترة كانت شحيحة وليست كافية، حيث وصل المعدل السنوي للأمطار من 150 ملم إلى 200 ملم لعام 1905 وهذا الرقم كأقصى حد[3].

ولهذا نجد سكان الزّاب الشرقي يلتجئون إلى الأماكن التي تتوفر فيها المنابع المائية، على غرار سكان زريبة الوادي الذين يعتمدون على حفر الآبار وبعض السواقي التي تصب من وادي العرب ووادي قشطان، لزراعة الخضر وبعض النخيل ومنتوجات أخرى كالحناء التي يتميز بها سكان المنطقة[4].

فالزّاب الشرقي عموما يعتمد أساسا على زراعة الحبوب (القمح والشعير)، وهذه الزراعة تزدهر عندما تكون الأمطار متوافرة[5]، كما نجد قرى الزّاب الشرقي (ليانة، والقصر، وبادس) المتواجدة ما بين 6 و7 كلم جنوب خنقة سيدي ناجي، فالليانة نجدها في الضفة اليسرى لوادي العرب، أما القصر وبادس فهما في الضفتان اليمنتان لوادي العرب، وهكذا نجد سكان ليانة يقومون باستغلال مياه الأودية في الزراعة، وذلك يظهر أن ليس لديهم آبار يستغلونها في سقي مزروعاتهم، أما القصر وبادس فيلجئون إلى خنقة سيدي ناجي لجلب الماء للسقي وفي بعض الأحيان للشرب[6].

وعليه يمكن القول أن قرى الزّاب الشرقي في عمومه،ا كانت مراكز تجارية، ويظهر ذلك مع الوجود اليهودي في المنطقة، حيث نجد ليانة ولقصر من المدن التي يشتهر فيها بيع الذهب من قبل اليهود، وهكذا نجد أن قرى الزّاب الشرقي تمتلك مساحات واسعة من الأراضي، تستغل لفتح أسواقها، كل مدينة لها اليوم الخاص بها لعرض مبيوعاتها واستقبال الأجانب أو أبناء المدينة أو القرى المجاورة لبيع منتوجاتها.

---

(1) عباس كحول، مرجع سابق، ص: 14. أنظر الملحق رقم:2.

(2) August in challamel, op-cit, P: 127.

(3) M.C.jonnart ,op-cit, P P : 223 −224.

(4) Ibid, P: 225.

(5) Ibid, P: 226.

(6) M.C.jonnart, op-cit , P P :226 −227

الزّاب الشرقي يمتد من منطقة الزيبان الشرقية، ويرتبط جغرافيا وتاريخيا بحواف أحمر خدو والأوراس، وعموما فالزّاب الشرقي يتقاطع مع أحمر خدو[1] ومع الأوراس جغرافيا وتاريخيا وبشريا من خلال القبائل والأعراش والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية[2].

سادسا: الأوضاع الثقافية في الزّاب الشرقي:

- **الحياة التعليمية:**

كان من الطبيعي أن تنعكس الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي كانت تحت نير الاستعمار على الحياة الثقافية والتعلمية خاصة أن السياسة التعليمية الفرنسية قد اتجهت إلى محاربة اللغة والثقافة العربية، واعتبار الفرنسية اللغة الأجنبية الرسمية ومحاربة تاريخ وجغرافية الجزائر في سبيل استكمال القضاء على الشخصية الوطنية في مختلف أبعادها[3].

فالحياة العلمية على ضعفها بدأت مع التعليم المسجدي الذي يقوم على مبدأ تعليم التلاميذ مبادئ النحو والفقه والأدب والحساب، لكن مع ذلك نجدهم لا يستفيدون منها، ذلك أن هذا التعليم يجمع ابن عشر سنين والستين سنة وفرنسا سمحت به بهدف تحضير مرشحين للمدارس الشرعية فقط.

---

[1] أحمر خدو: جبل تربته حمراء تنعكس عليها أشعة الشمس.

[2] عباس كحول، مرجع سابق، ص: 16.

[3] عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص: 21.

أما التعليم عن طريق الزوايا، فيبقى مدين للطرق الصوفية والزوايا وهذا ما نجده في إحصاء يعود إلى سنة 1895، إذ نجد المؤسسات الدينية والثقافية في الزيبان هي خمسة وتسعون (95) مؤسسة دينية ثقافية مبنية حول القبور أو المساجد بالزّاب الشرقي وواحد وأربعون(41) مسجد في تكوت ودائرة بسكرة ومشونش، وبقى التعليم تقليديا رغم ما طرق عليه من تغييرات، وهذه التقليدية على مستوى المناهج والمقررات وعلى مستوى طرق التدريس ووسائله، ويمكننا أن نصنف التعليم داخل الزواية بأن الطلبة يقسمون فيها إلى مجموعتين، كل مجموعة تنقسم إلى ثلاث فئات، فالمجموعة الأولى هي فئة المبتدئين (من لم يختم سورة البقرة)، وفئة المتوسطين (من ختم سورة البقرة وشرع في الإعادة)، وفئة المنتهيين (من ختم القرآن ولم يبق له إلا الرّواية والتجويد)، أما المجموعة الثانية ففيها فئة الأجرومية وابن عاشر، وفئة القطر والرسالة، وفئة الألفية والرسالة ثم الشيخ الخليل، وهذا النظام يتكرر في الزوايا عموما[1].

حتى أن احد أبناء الزّاب الشرقي وهو الجندي أحمد مكي[2] يوضح لنا حالة التعليم في منطقة خنقة سيدي ناجي بقوله "... فالولد يقضي جلّ حياته في الدروس القرآنية منكبا على لوحة مملئة حروفا سوداء يكررها صباحا ومساءا(كالفوتغراف) من دون فهم حتى يعوج مستقيم عمودنا ".

ولهذا تتفق مختلف المصادر على عقم تعليم الزوايا وعدم استعابة التلاميذ، حتى أن أحد أبناء سيدس عقبة دعا إلى عدم التمييز بين الفقراء والأغنياء في قبولهم بالمكاتب القرآنية ولهذا نجد الكثير من طلبة الزوايا في الزّاب الشرقي يتوجهون إلى المشرق وتونس وحتى المغرب الأقصى، أما فيما يخص التعليم الرسمي فهو مقيد من قبل فرنسا حيث نجد في سيدي عقبة سمحت لها الإدارة الفرنسية بفتح أربع أقسام، أما في شتمة ففتحت ثلاثة أقسام للذكور[3].

- الحالة الدينية:

كانت منطقة الزيبان عشية الحرب العالمية الأولى، تعيش في يأس بعدما أصبحت زمام الأمور الدينية تحت سيطرة الزوايا و رجال الطرقية وفي قبضة الاستعمار الفرنسي [4].

وقد ساعد على انحراف الطرقية كثرة الجهل والأمية بين الناس، كما لم يكن رجال الطرق الصوفية على جانب من الاستقامة الخلقية ولا المعرفة بأصول الدين وضوابطه وأوامره ونواهيه، وبذلك أكثروا من البدع

---

[1] نفسه، ص: 23 .

[2] ولد في 30 جانفي 1893 بخنقة سيدي ناجي، حصل على شهادة ابتدائية من المكتب الفرنسي 1909، درس بقسنطينة ثم الجزائر، حصل على شهادة التعليم الدنيا والعليا، درس بوادي زناتي وبسكرة 1918، من شعراء الإصلاح.

[3] عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص ص: 23-24 .

[4] نفسه، ص: 27.

والضلالات، ادعوا لأنفسهم صفات الألوهية أمام العامة الساذجة من أتباعهم على أنهم قادرون على المنح والعطاء[1]، كما أنهم قادرون على الحرمان، وانغمسوا في ملذاتهم وشهواتهم، حيث يذكر " الجندي أحمد مكي" ميل أهل الخنقة كبارا وصغارا إلى الطرقية والخرافية وترنيمات الحضرة من طرف المدّاحين، ويذكر كيف قضى الليالي الطوال في سرد أخبار وكرمات من يعتقد فيهم الإصلاح.

حيث نجد الزّاب الشرقي في إحصاء سنة 1882 يحتوي على 5717 من السكان، منهم 810 يتبعون الطريقة الرحمانية، و280 يتبعون الطريقة القادرية، و30 يتبعون التيجانية[2].

وهكذا كان إلى جانب الاستعمار الفرنسي قوة أخرى لا تقل عنه نفوذا وسيطرة على الشعب الجزائري، هي قوة الطرقية التي استحوذت على العامة الساذجة وسخرتها لأغراضها الخاصة[3].

لكن يظهر أن هذه الطرق وجدت من يناظرها ويقف إلى جانبها، وهي فرنسا التي كانت سخية مع شيوخ الزوايا المتعاونين معها فمنحت درجة الفتوة ومنصب المفتي ووسام الشرف لشيخ زاوية طولقة "سي عمر بن علي بن عثمان" إضافة إلى نفوذه في الشرق الجزائري إلى تبسة، وامتلاكه ألفا وثلاثمائة واثنين(1302) من النخيل في طولقة، وخمسة وخمسين(55) نخلة في البرج، وسبعة مئة وعشرين(727) نخلة في فرفار، ويجمع بين زوايا ليانة وخيران التابعة له ما مقداره عشرين ألف (20) فرنك[4].

كما شكلت من يعارضها ويحاربها[5]، فسكان الزّاب الشرقي كغيرهم من الجزائريين، لم يرضيهم الوضع الذي هم فيه فأرادوا تغيير هذا الوضع والتخلص من السيطرة الاستعمارية، واتضح جليا عند بعض رجال الدين أمثال: "عاشور لخنقي"[6] الذي ألف كتابا عنوانه "منار الأشراف" الذي يدعو فيه المسلمين إلى دعمهم بالمال والطاعة والحب في قوله " فمن المعلوم بالضرورة عند النساء والرجال أن الله فرض أرزاق الشرفاء والعلماء في بيت المال، فإذا ضاع بيت المال باستيلاء الظالمين فأرزاقهم مفروضة قي أموال المسلمين"[7] .

---

[1] أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ...،** مرجع سابق، ص: 63.

[2] عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص ص: 28-29 .

[3] أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ...،** مرجع سابق، ص : 64.

[4] عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص: 30.

[5] أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ...،** مرجع سابق، ص ص: 65-66 .

[6] هو عاشور بن محمد الكليبي ولد عام 1844 بخنقة سيدي ناجي التي نشأ بها يتيما، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الدين الإسلامي، رحل إلى نفطة في بلاد الجريد بتونس وقضى فيها مدة عشرة أعوام طالبا للعلم انتقل بعدها إلى مدينة قسنطينة ونشط في مجالات تدريس الوعظ وقرض الشعر، توفي الشيخ 1909 مخلفا وراءه تراثا في اللغة و الدين، أبرزه كتابه الشهير منار الأشراف الذي طبع في حياته. أنظر: محمد الصالح حثروبي، ص: 53.

[7] عبد القادر قوبع، مرجع سابق، ص: 31.

وكذلك الشيخ جموعي بن مزوز[1] و"الشيخ مولود الزّريبي الذي يذكر في كتابه بدور الأفهام عن الوضع الدنيء الذي كانت عليه بلدته حيث قال: ((إنهم ممن سمعنا بهم في هذا الزمان الذين تنوعوا في البدع والمحادثات الشنيعة بل إنهم يأتون المنكرات الفظيعة حتى إنهم في حرمات صلاتهم المردودة يصيحون ويرقصون ويضربون بعضهم بعضا، إنها فرقة ينبغي لنا تحاشي التصريح باسمها استغناء بذكر رمزها وقد بلغني أن من أنكر عليها ذلك رموه بالزندقة))[2]، وغيرهم من الرجال الذين حاربوا البدع والخرافات المنتشرة في المنطقة .

[1] ولد سنة 1870 بزريبة الوادي من عرش أولاد محمد حفظ القرآن الكريم صغيرا، وأخذ مبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي من شيوخ قريته، انتقل بعدها إلى الليانة حيث واصل تعليمه بزاويتها الشهيرة على يدي كبار وشيوخ المنطقة رحل إلى مصر، وانتسب للجامع الأزهر الشريف، رجع إلى مسقط رأسه سنة 1898 وشرع في نشر الوعظ والمعرفة، توفي إثر مرض العضال سنة 1936، ودفن بشتمة.

[2] مولود الزّريبي، **بدور الأفهام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام**، د.ط، د.د.ن، تونس، 1334هـ، ص: 62.

الفصل الثاني

مولود الزّريبي من النشأة إلى العودة من الأزهر الشريف

أولا: مولده ونسبه:

قيل إن الزّريبي ولد سنة 1897 تاريخ ميلاده، كما ذكروا سنة 1925 تاريخ لوفاته، فيكون الزّريبي بذلك قد عاش أقل من 30 سنة, في هذه الدنيا التي ملّ منها مبكرًا أو ملت منه, لأنه أراد تغييرها بسرعة فائقة، وربما قتله ذكاؤه الوقاد وثورته على ما كان يبغي أن يعالجه باللين والتوؤده.

ويظهر لنا أن تاريخ ميلاده متقدم على سنة 1897، ذلك إننا وجدنا الزّريبي سنة 1913 في الجزائر يراسل جريدة كوكب افريقية في بعض المسائل، وقيل أنه كان قبل ذلك قد توجه إلى مصر دون علم أبيه وأنه قضى في الأزهر أربع سنوات، فكيف يصح ذلك مع سنة ميلاده المزعومة وهي 1897[1].

ورغم إننا لا نملك دليلا قاطعا على تاريخ ميلاده, فإنه يبدوا لنا بالقرائن الزمنية والأحداث, أن الزّريبي توجه إلى مصر عندما كان عمرة بين 18 و20 سنة وبذلك نرجح أن يكون من مواليد حوالي 1887 ويكون تاريخ سفره إلى مصر ما بين 1905 و1907 وتاريخ رجوعه منها أي إلى الجزائر ما بين 1910-1913[2].

ويظهر أن الزّريبي كان في الثامنة عشر أو العشرين حين توجه إلى مصر دون علم عائلته، ولا نجد الآن وثائق بتواريخ معينة وكل ما وجدناه هو 1913-1914، حين كان في الجزائر يراسل جريدة (كوكب افريقية)، من بلدة سيدي عقبة وكان يثير في مراسلته قضايا فقهية وإسلامية غربية على عقول ذلك وقت.

يعرف أبو القاسم سعد الله مولود الزّريبي قائلا:« هو العالم الشّاعر المجيد والكاتب البارع الشيخ مولود بن محمد بن عمر الزّريبي البسكري»[3]، ولد سنة 1887[4] أحد وجهاء قرية" زريبة الوادي"[5] في شرق بسكرة, تبعد عنها باثنتين وثمانيين ميلا وهي عربية غير آهلة إلا بالعرب, وتلقب أسرته بصالحي، نسبة إلى أحد أجداده ويبدوا أن نسبه الزّريبي قد تبناه هو بعد الغربة، وكذلك نسبة الأزهري التي يبدوا أنه اتخذها بعد تخرجه من الأزهر ونجده ينسب نفسه لبسكرة في أحد مراسلاته لجريد كوكب إفريقية[6].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب (مقالات وتأملات)**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 170.

[2] نفسه، ص: 171.

[3] عاشور شرقي، **معلمة الجزائر القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام، معالم)**، تر: عبد الكريم أوزعلة وأنيس بن هدوفة وآخرون، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص: 771.

[4] فوزي مصمودي، **(من أعلام بسكرة المعاصرين)**، **الخلدونية**، تصدرها الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة(الجزائر)، ع: 8، 2001، ص: 9. أنظر: خير الدين شترة، **إسهامات النخبة الجزائر في الحياة السياسية والفكرية التونسية**، د.ط، دار البصائر للنشر و التوزيع، أدرار(الجزائر)، 2009، ص: 325.

[5] عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، د.ط، مؤسسة نويهض للثقافة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت (لبنان)، 1983، ص: 158.

[6] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 174.

ثانيا: نشأته وتعليمه:

نشأ مولود الزّريبي في قرية زريبة الوادي[1], في حجر أبيه طيب الذكر "محمد بن عمر"، الذي هو مثال نادر في الجدّ، قضى كل حياته في التجارة والفلاحة أمينا في الأولى، بارعا في الثانية، وله في نادي قومه وجاهة ومكان معتبر[2]. وفي كنف أبيه تربى وترعرع, وما إن بلغ سن التمييز حتى أدخله والده الكتاب القرآني, ولواهبه الفطرية المبكرة، كان بين أقرانه مثالا يضرب في قوة حفظه, وحضور البداهة والحيوية والنشاط, فلم تمض إلا سنوات قليلة حتى حفظ القرآن الكريم وأتقن حفظه على يد شيخه الفاضل السيد "عمار بن سعيد" الذي لم يرضه ما رأى عليه حفظة الكتاب العزيز من البطالة، والإهمال والخمول والكسل والبعد عن ما حلله الله تعالى وما حرمه[3].

لم يرضيه هذا، فشرع يعمل في سبيل المنى عمل الذي عَلِمَ عِلْمَ اليقين أن القرآن حجّة على من لم يفهمه، ولم يعمل به، وأنَّ أيّامه التي قضاها سهرانا في سبيله لا تحسب في حسبان حسناته، إذا لم يضف لها فهما جيّدًا لكتاب الله، وسنّة نبيّه التي تبيّن آياته البينات " ولقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مذّكر "[4].

علم أنّ هناك من تصدّى للتّعليم والإرشاد، فصار يستلفت الأنظار لمستقبله العلمي الباسم، وكانت المنطقة قد حافظت على التراب العربي والإسلامي، رغم جور الإدارة الاستعمارية[5].

انتقل الشيخ مولود الزّريبي إلى الزاوية الحفناوية بقرية إليانة، والتي تبعد عن زريبة الوادي بسبعة أميال، فانكب على دراسة المبادئ العربية والفقهية, على يد العالم المصلح "سيدي حامد العبيدي" مدرّس المبادئ العربية والعلوم الشّرعية والفقهية فلزمهما رفقة مجموعة من شباب تلك البلد فهمّهم واحد، ومبتغاهم الذي تعارفوا له واحد، لا يُلويهم عن مرادهم لاوٍ ولا يصدهم صادٌّ.

---

[1] أحمد مريوش، **الشيخ الطيب العقبي ...**، مرجع سابق، ص: 65.

[2] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، إع و تق: عبد الله حمّادي، ط2، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج2، ص: 155.

[4] محمد الصالح حثروبي، مرجع سابق، ص: 55.

[4] سورة القمر« الآية 17 ».

[5] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 156 .

ويقول الشيخ زهير الزّاهري[1] "أن الزّريبي قد انتقل لليانة حيث أصهار والده (أخواله) وهم عائلة محمد الهادي السنوسي الزّاهري"[2]، ولما نال منها حظا وافر، ثمّ تطلعت نفسه إلى المزيد, ولم يرض ما رأى عليه حفظة القرآن من البطالة والكسل والخمول والإدعاءات الفارغة، والمفاخرات الجوفاء, وهم سواعد هذه الأمة وأملها في الحياة, لو حسنت تربيتهم ووجدوا من يأخذ بأيديهم إلى الجادة القويمة لما أصبحوا في هذه الحالة، فاستنكف أن يكون مثلهم وعزّ عليه أن يصيبه ما أصابهم وربأ بنفسه أن يعيش في الوسط الخامل, الذي يبعث على الشلل والموت قبل الأجل[3].

وفي هذه الفترة دخل زاوية رحمانية هناك للتعلم مع التلاميذ ما كان متوافر من مبادئ العلوم العربية والإسلامية، ونريد القول أن الزيبان، كانت داخلة ضمن المناطق الصحراوية الخاضعة للحكم العسكري والمحكومة بطريق المكاتب العربية، لقلة بل لانعدام السكان الأوربيين في المنطقة، كما نذكر أن الجنوب بصفة عامة كان تحت تأثير بعض الزوايا التعليمية[4].

مثل: زاوية طولقة، وزاوية الهامل، وزاوية الخنقة وزاوية وادي سوف[5]. كما كانت المنطقة متأثرة بزاوية نفطة العزوزية[6] التي أسسها مصطفى بن عزوز[1]، ولا ننسى أيضا أن الشاعر عاشور الخنقي[2] قد تخرج

---

[1] زهير الزّاهري: ولد 1980 بقرية اليانة بلدية زريبة الوادي حفظ القرآن الكريم خصيرا على أيدي مشايخ قريته أمثال إبراهيم قينيدي، انتقل سنة 1927 إلى بسكرة حيث درس مبادئ اللغة العربية بمسجد سيدي بكار على يد الشيخ الطيب العقبي، عين إماما خطيب بالفرنسية 1942 بمسجد القالة من 1950 إلى 1956 توفي يوم الجمعة 5 نوفمبر 1999 دفن بمسقط رأسه ليانة ، أنظر: محمد الصالح حثروبي، ص: 62.

[2] محمد الهادي السويسي الزّاهري: أديب وشاعر ومصلح ولد بليانة بالزّاب الشرقي (زريبة الوادي)، من ولاية بسكرة في جوان 1902 حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم أرسله والده إلى قسنطينة لازم الدراسة على يد العلامة عبد الحميد بن باديس زهاء سبع سنين، وهو كتب في جريديتي المنتقد والشهاب والبصائر والصراط السوفي، كما ترأس تحرير جريدة القبس في سنة 1952، توفي 1974 ودفن في مقبرة القريدي بالقبة، طبع له كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر في جزأين بتونس سنتي 1962 و1927 ، أنظر: محمد الهادي السنوسي الزّاهري، ص: 90.

[3] فوزي مصمودي ، **زهير الزّاهري اليلياني(صفحات من حياته ونضاله ومواقفه وآثاره)**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة (الجزائر)، 2004، ص: 17.

[4] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص ص: 174-175.

[5] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 174.

[6] أسسها احد أبناء البرج (قرب طولقة)، مصطفى بن عزوز، والتي أصبحت في ظرف قصير جدا من أهم مراكز الطريقة الرحمانية، وذلك بفضل شخصية المؤسس، وأصبحت مستقلة تمام الاستقلال عن الرحمانية بالجزائر حتى أنها تسمى أحيانا بالعزوزية، وأصبح لها دور مقدم الزوايا بالقطر التونسي، ولا تعرف الرحمانية هناك إلا من خلال شخصية مصطفى بن عزوز الذي بعد وفاته تولى خلافته ولداه الشيخ المكي والشيخ الأزهري.

من زاوية نفطة, وكان عندئذ أحد مدرسي زاوية الهامل. ولذلك لا تستغرب أن تبدأ علاقة الزّريبي مولود بالعلم عن طريق الزاوية الرحمانية وأن يكون بعض مشايخه في ليانة هو سيدي حامد العبيدي (النفطي) مدرس التجويد والقراءات[3].

وقد قرأ الزّريبي أيضا على يد الشيخ "علي بن ناجي العفة" وغيره في مسجد ليانة[4]، ولاشك أن مولود الزّريبي في هذه الفترة لما تميز به من رجاحة العقل، وذكاؤه الوقاد، وطموح النفس، قد أدرك أن كثيرا من الناس ضاعت أعمارهم سدى, لأنهم لم يعرفوا كيف يؤلفون بين فطرهم وما يمكن أن يمارسوه من الأعمال في حياتهم أو ما يسلكوه من السبل إلى أهدافهم وغاياتهم, وكان مولود الزّريبي يسمع في مختلف المجالس عن أعلام الفكر في الجزائر الذين تغربوا عن الوطن في سبيل العلم, ثم عادوا مصابيح هادية ومشاعل فياضة وأساة للعقول والقلوب، وعلى هذا يذكر البعض أن الشيخ الزّريبي قد تأثر بدعوة الشيخ محمد عبده في التجديد والتغيير الاجتماعي، ومحاربة البدع والخرافات, ولا نعرف إن كان ذلك أثناء حياة الشيخ محمد عبده[5] (توفي سنة 1905) والغالب أنه تأثر ببعض تلاميذ هذا الشيخ وبكتبه سيما (رسالة التوحيد) والسمعة التي تركها في الأزهر وفي أجهزة الإعلام فقرر مولود الزّريبي الرحيل إلى مصر للأزهر الشريف[1].

---

[1] مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي، ولد عام 1803م بزاوية والده الشيخ محمد بن عزوز البرجي بالبرج القريبة من طولقة بالجنوب الجزائري ، أخذ العلم عن شيوخ بلده، كما أخذ عن محمد الأمير أحد شيوخ الأزهر الشريف وإبراهيم الباجوري المصري، تولى مشيخة زاوية والده الشيخ محمد بن عزوز البرجي بعد وفاته عام 1813م وذلك تحت إشراف ورعاية شيخه علي بن عمر الطولقي إلى أن فهم منه القدرة على كيفية تسيير شؤونها، وعند احتلال بسكرة عام 1843م، هاجر إلى نفطة وأسس زاوية بها رحمانية ، أنشأ في الزاوية مدرسة كان لها تأثير جد فاعل ضد المستعمر، وأيضا كانت تعمل على تعليم القرآن ، وأسس عدة زوايا في تونس منها توزر، توفي بنفطة عام 1865م. .

[2] هو عاشور بن محمد الكليبي ولد عام 1844 بخنقة سيدي ناجي التي نشأ بها يتيما، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ الدين الإسلامي، رحل إلى نفطة في بلاد الجريد بتونس وقضى فيها مدة عشرة أعوام طالبا للعلم انتقل بعدها إلى مدينة قسنطينة ونشط في مجالات تدريس الوعظ وقرض الشعر، توفي الشيخ 1909 مخلفا وراءه تراثا في اللغة و الدين، أبرزه كتابه الشهير منار الأشراف الذي طبع في حياته. أنظر: محمد الصالح حثروبي، ص: 53.

[3] خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة 1956م**، د.ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج1، ص: 457.

[4] الريعي بن سلامة وعمار ويس وآخرون، **موسوعة الشعر الجزائري**، د.ط، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 2009، مج1، ص: 694.

[5] هو محمد بن عبده بن حسن خير الله، ولد عام 1849م في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت في محافظة البحيره، داعية ومجدد إسلامي مصري، التحق بالجامع الأزهر، وفي سنة 1877 حصل على الشهادة العالمية، وفي سنة 1879 عمل مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم، وفي سنة 1882 اشترك في ثورة أحمد عرابي ضد الانجليز، وبعد فشل الثورة حكم عليه بالسجن

ثالثا: أخلاقه وسجاياه:

إن المواهب الفطرية, والقيم الأخلاقية والمثل والمبادئ، هي التي كانت وراء هذا العالم في صغره وكبره, فجرت في كيانه الحيوية القوة والشجاعة، ودفعت به إلى طلب التغرب في سبيله, وتحمل المتاعب والمشاق من أجله، حتى نال منه الحظ الوافر, وأصبحت له مكانة مرموقة في مصر وفي الجزائر...

تلك المواهب والأخلاق هي التي كانت أيضا وراءه، وفي أعماقه تحفزه دأبا إلى الأمام، وتفجر فيه الحيوية، وتعطيه الدفع حتى يواصل مسيرته مهما كانت الظروف معاكسة ومعطلة.

- إنه عصامي, لأنه فكر في السفر, ودبر شؤونه, وخطط للدراسة في الأزهر وواصل التعلم فيه حتى أحرز على أعلى شهادة علمية فيه, دون حافز أو وازع إلا من نفسه[2].
- فهو بإيمانه وعقيدته, وبشجاعته وثباته، وبطموحه وبعد نظره, وبأخلاقه وقيمه, هو الجدير بالانتساب إلى هذا الوطن المعروف عبر التاريخ بالأصالة والقوة والتضحية.
- من أراد أن يعرف الجزائر على حقيقتها فلينظر في حياة بعض أبنائها الكرام الأشاوس أمثال مولود الزّريبي[3].

- وحسب ما يظهر في الصورة كان – رحمه الله– متوسط القامة، نحيف الجسم، مبسوط الوجه، جاحظ العينين، ملتحي، يرتدي على الدوام لباس تقليدي (عمامة بيضاء على رأسه، قميص أبيض)[4].
- كان – رحمه الله– شجاعا لا يخاف إلا الله, فإذا آمن بفكرة صدع بها غير متردد، وغير مكترث، بمن خالفه أو وافقه, ومن هنا كان يحارب البدع والخرافات والتقاليد البالية, ومن أجل ذلك حورب[5].

ثم نفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، ساف بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس سنة 1884، وأسس صحيفة العروة الوثقى، توفي عام 1905م.

[1] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 175.

[2] محمد الصالح صديق، **أعلام المغرب العربي**، ط2، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ج1، ص: 82.

[3] عمار هلال، **العلماء الجزائريين في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3/14هـ)**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون(الجزائر)، 1995، ص: 367.

[4] فوزي مصمودي، **تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة إقليمها من 1900-1956**، تص: أبو القاسم سعد الله ، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة(الجزائر)، 2006، ص: 91. أنظر الملحق رقم: 3.

[5] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 82.

- وكان فقيها مدققا, ومحدثا ومحققا, إذا سئل عن مسألة أجاب بكل مصداقية وموضوعية في الكلام فهو بذلك يلتزم بواجباته تحرى الاجتماعية والعلمية والثقافية وأداؤها خير أداء.
- كان منسقا متميزًا في حب الخير للناس, وإصلاح شؤونهم ودعوتهم إلى بناء حياتهم على الصدق والعدل والأمانة والتعاون والمحبة[1].
- وكان يمقت اليأس ويحاربه, ويجسم عواقبه الوخيمة الأليمة، ويرى أن لا خطر على الرد ولا على الأمة منه, فكان يدعوا إلى الأمل والتفاؤل, والنظر إلى المستقبل نظرة باسمة كلها أمل وطمأنينة وتفاؤل.
- كان وديعا حمولا حريصا على مراعاة العواطف، واحترام من يناظره، أو يناقشه، لا ينطق بكلمة تمس كرامة أو تجرح عاطفة, أو تفضي إلى سوء تفاهم.
- كان رحمه الله يستعمل لهجة العنف ضدّ مشائخ الطرقية والخرافات باعتبار أن المشائخ كانوا في نظره يصدرون أفعالهم عن تلقائية وحرية.
- فالزّريبي لم يعمل بمبدأ أن الدعوة إلى الإصلاح وتحرير العقل، تكون عن طريق العلم والمنطق والاغتراب والبحث في المجهول، وإنما يبدو لنا أنه كان صريحا غاية الصراحة في حين كان غيره يلمح ويداري.
- كان الزّريبي مندفعا غاية الاندفاع في حين كان غيره يتريث ويقتصد، فمن المأخذ عنه هو المأخذ الذي أخذه عنه بن باديس حينما كان ينصح تلاميذه بعدم الاقتداء بالشيخ الزّريبي في الاندفاع والعنف عند علاج المسائل الدينية والاجتماعية، بل كان بن باديس ينصح بسلوك النفس الطويلة والحكمة للوصول إلى الهدف البعيد، وهو إصلاح المجتمع[2].
- وكانت له ثقة النفس قدَّرها فيه من عرفوه، ولولاها لما واصل مسيرته التوجيهية والإصلاحية، حتى آخر يوم من حياته، وكان من شدة تأثيره في النفوس وإقبال الناس على دروسه بالجامع الأعظم والتفافهم حوله، حتى أن المستعمرون خافوا مما يبثه في قلوب هؤلاء، فكانوا يراقبونه عن قريب أو بعيد، ولكنه كان ثابت الجأش، واثقا بنفسه، مؤمنا بأن كل ما يتصدى له في سبيل الله وفي سبيل العلم هيّن يسير له أجره عند الله تعالى[3].
- وكان غني النفس راضيا بما عنده، مطمئنا به، فلم يكن يتطلع إلى ما عند غيره، أو يحرص على المزيد في إلحاف وجشع، أو تذهب نفسه حسرة إذا فاته مال، أو ضاعت عليه فرصة، أو لم يتحقق له أمل.

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري، مرجع سابق، ص: 159.

[2] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 185.

[3] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 83.

- كان المصلح الأكثر ألما بين قومه نظرا لما هم فيه من سوء وضلالة وبعد عن الدين الإسلامي، كذلك نجده من يوم رجوعه من مصر، وهو في سبيل تطهير كل ما كان يصيبه من ألم، وما يواجهه من بلاء وما يلاقيه من تنكر وجحود[1].
- كان من اهتماماته الأولية التي شغلت فكره ولسانه وقلمه، تفرّق الأمة الإسلامية مع توافر عوامل الوحدة فيها من إله واحد، وقرآن واحد ودين واحد، وقبلة واحدة، وما كان للاستعمار أن ينال من هذه الأمة ما نال ولا أن يُحدث فيها ما أحدث من ميول مختلفة واتجاهات متنوعة ولا أن يبث فيها ما بث من أفكار مسمومة, وبدع خبيثة, لو أنها موحدة متماسكة، وما كان أعداء الإسلام يقرؤون لغير وحدتها أي حساب لأنهم يعلمون أن الأمة إذا توحدت صفوفها, كانت قوة جبارة وشوكة حادة.
- وكان– رحمه الله– يرى أن الإتحاد إذا كان ضروريا في كل امة تريد الحياة فوق هذه الأرض فإنه في الأمة الإسلامية ومن آياته تعالى أنه قال: « واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا »[2].
- وكان أشد ما يمقت الدجالين الذين توحد عملهم في الشعوذة والحيل والتدجيل، وقد لاقى منهم معاكسات ومشاغبات لكن ثباته وقوة إيمانه واعتقاده بأنه مسؤول أمام الله، تخلى عنهم وتركهم وشأنهم.

وبإجماع القول أن هذا الرجل ذو مواهب فطرية، وأخلاق كريمة وسجايا نبيلة، استطاع بها أن يستقطب الأنظار حوله, وينير العزائم الفتية في صدور بعض الرجال، ويقيم الدليل عمليا على أن المعركة الممتدة عبر الزمان بين الإيمان والطغيان, وبين الخير والشر معركة الجميع من أجل الجميع لأنها معركة الدفاع عن الحريات وصيان الحرمات، واستخلاص الإنسان من بوتقة الجهل والتخلف والباطل[3].

رابعا: رحلته إلى مصر:

استكمل ما كان يدّرسه مولود الزريبي في جدّ، ومثابرة ودأب لا يخيب صاحبه في مسقط رأسه، ثم عزم على الرحيل لمجرى وادِي النّيل مصر للدراسة في الأزهر الشريف[4].

كانت رحلته سرية، لم يعلم بها أحد لا من الأقارب[1], ولا من الأبعاد، حتى أباه هو الأخر لم يعلم بسفره، كان هدف هذا الطالب الطموح هو التفقه في الدين، ومعرفة أصول الشريعة الإسلامية.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج8، ص: 257.

[2] سورة آل عمران « الآية 103 »

[3] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 84.

[4] عبد الملك مرتاض، **معجم شعراء الجزائريين في القرن العشرين**، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 222.

كان سفره هذا فاجعة أليمة بالنسبة لولداه وأفراد عشيرته الذين كانوا لا يفترون يتساءلون في شيء من الحيرة عن سبب اختفاء هذا الولد الذي له مكانة مميزة بينهم بنجابته وتفوقه في الدراسة على من كانوا معه[2].

ويظهر أن حيرة أفراد عشيرته لم تكن إلا تكهنات بالأباطيل والخرفات، وطبعا الدافع إلى ذلك هو الغيرة والحسد والفضول.

ومع مرور الزمن وصل خبر لأب مولود الزّريبي أن ابنه في مصر[3]، كان خبر مؤلم بالنسبة لعائلته، حيث أقسم الوالد في لحظة غضب أن لا يمده بمدد، ولا يغفر له مهما كانت الأسباب، ذلك لأنه سافر من غير علمه، لكن الحقيقة هي أن يطمئن الوالد على ولده الذي انفلت من الوسط الخامل الذي قضى على أمثاله من الشباب[4].

لما علم الولي بما صمم عليه والده، رغم أنه لم يرتكب أي خطيئة أو إثما يستوجب كل هذا، بدأ يتناسى ما صدر من أباه، وشرع في إكمال دراسته بكل طاقاته لأن يصل إلى العلم الذي من أجله تحمل كل شيء، فلم يكن نصب عينيه إلا هذه الأبيات:

ومن طالب العُلى من غير كَدٍ أضاع العُمر في طلب المُحالِ[5]

وشاعر الحكمة أبي الطيب المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبـارًا تعبت في مرادها الأجسام

وقول لشاعر آخر:

بصرت بالراحة العظمى فلم ترها تنال إلا على جسر من تعب[6]

---

[1] الغالب أن الزريبي سافر إلى مصر بطريق البّر عن طريق الجريد وتونس، أما سفره إلى إسطنبول فقد يكون عن طريق البحر، وكان وجوده بهذه المدينة بعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني 1909م.

[2] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 72.

[3] عمار طالبي، **بن باديس حياته وآثاره**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 1983، ج1، ص: 27 .

[4] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص ص: 84- 85 .

[5] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 156.

[6] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 73.

ورغم ذلك راسل والده برسالة يسترضيه فيها هذا مضمونها: "إني استأنفت قراءتي وهيهات التولي عن طلابي وأنت الأب الجدير بكل إكبار، واحترام وحسبي أن أذكرك في الناس أبا رحيما، فإن لم ترحمني لأكونن من الهالكين"[1].

ومع وصول الرسالة لوالده وقراءته لها، حتى رأى بعين العقل أن ابنه لم يقترف جرما ولم يكن من الشباب المائع الطائش الذي همه الوحيد هو السفر للتسكع في الطرقات.

وهنا يتبين لنا جليا أن والد مولود الزّريبي اطمأن كل الاطمئنان على ابنه، من أن ولده في الأزهر الشريف للتعلم، وتوسيع مداركه الفكرية، ليعود إلى وطنه عالما فقيها يبث العلم ويحارب الفساد عملا بقوله تعالى: "فلولا نفر من كل طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"[2].

لم تكن إلا أيام قليلة حتى جاءت البشرى لمولود الزّريبي تطمئنه من أن أباه راضيا عليه وعلى كل ما يقوم به من خير في سبيل الله[3].

وهكذا بدأ مولود الزّريبي يعمل في جدا و مثابرة في سبيل العلم، حتى أتقن كل ما يدرسه لنيل الشهادة العالمية، وهي مفخرة أهل العلم في المشرق والمغرب، والتي يعيش الطلبة من أجلها في الجامعة الأزهرية بين عمل دائب وهَمٍ ناصب وتنافس قوي، فلا يهدأ لطالب المجد بال ولا تطمئن له نفس، حتى ينالها، وهكذا كان الزّريبي في جد متواصل، حتى نال مكانة مرموقة بين طلاب العلم وعند شيوخه وأساتذته[4].

قضى مولود الزّريبي ما يربوا أربع سنوات في الأزهر الشريف، لينال بعزمه وثباته في المجلس العلمي شهادة العالمية، وبهذا أصبح من العلماء الأفذاذ الذين نُوَه بهم الأزهر الشريف[5].

وهنا لابد لنا من الذكر أن الشيخ مولود الزّريبي فترة أربع سنوات لم يقضيها جميعها في الأزهر الشريف (مصر) فقد تجول في بعض البلدان، إذ يقول في قصيدته المنشورة في كوكب افريقية[6] سنة 1332هـ أنه ارتحل للمشرق والمغرب.

وقد طفت في البلدان شرقا والمغرب وسارت ركابي في مجال سرها[7]

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 157.

[2] سورة التوبة « الآية 122 ».

[3] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص ص: 157-158.

[4] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 74.

[5] عبد الله ركيبي، **الشعر الديني الحديث**، د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص:172.

[6] كوكب إفريقية: جريدة أسبوعية إخبارية كانت تصدر بالجزائر سنة 1907، مديرها محمود كحول، جريدة تنشر أخبارا عن نشاط السلطات الرسمية الاستعمارية وتحتوي على مقالات أدبية شعرا، كما كان الأستاذ الزّريبي يكتب فيها أشعاره.

[7] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص ص: 175-176.

وفي هذه القصيدة لم يذكر سوى مصر، وبعد عدة صفحات في كتابه (بدور الأفهام) ذكر أنه رأى بعض كتب الجاحظ(كتاب الحيوان، البيان والتبيين) وأكد مولود الزّريبي أنه لم يجدهما بديارنا وإنما رآهما في القسطنطينية[1].

فقد كانت نفسه طموحة ومشغوفة بالسفر والمغامرة، وهكذا أصبحت في نظره مصر أو بالأحرى الأزهر الشريف، حلقة جامعة لكل العلماء والأدباء المصلحين، فصار مولود الزّريبي ووطنه هناك محل إعجاب وتقدير إذ يذكر الشيخ الزّاهري: "أن جو العائلة الزّاهرية مشبعا بالإصلاح الديني، والذي نشر الإصلاح الديني في منطقنا هو الشيخ مولود الزّريبي"[2].

[1] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 76.

[3] فوزي مصمودي، **زهير الزّاهري اللياني** ...، مرجع سابق، ص: 30.

خامسا: إجازاته العلمية:

حفظ القرآن الكريم على يد "الشيخ عمار بن سعيد" في المكتب القرآني، في مسقط رأسه زريبة الوادي، وتلقى مبادئ اللغة العربية والعلوم الشرعية على يد العالم "المصلح الشيخ حامد العبيدي"[1] بالزاوية الحفناوية بقرية الليانة، كما تلقى تعليمه الديني بالزاوية العزوزية على يد الشيخ" محمد المكي بن عزوز"[2].

درس في الأزهر الشريف بمصر، على يد نخبة من أهل العلم والفكر وانتفع بالخصوص بالعلامة "الشيخ "محمد بخيت المطيعي"[3] صاحب كتاب "القول المفيد"[4] استفاد منه مولود الزّريبي، حيث قضى زهاء ستين سنة في الدرس والبحث والتحصيل وفي نشر العلم والدعوة إلى الصراط المستقيم. كذلك أخذ علما من العلامة "الشيخ محمود الخطاب"[5] وأخذ من غيرهما من أساتذة جامع الأزهر الشريف. وما كانت مصر الزاهرة لتسلبه نزعته الوطنية، وهي التي أنبتت الأستاذ الإمام "محمد عبده" و"مصطفى كامل"[6] و"محمد فريد زغلول.

---

[1] سليم مزهود، **مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغويات، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005-2006، ص ص: 72-73.

[2] محمد المكي بن عزوز: هو محمد المكي بن مصطفى بن محمد عزوز من أصل جزائري، ولد بتونس عام 1857 وتربى وتعلم بزاوية نفطة ثم أدخله واده جامع الزيتونة فبرع في مختلف العلوم وأصبح من كبار علماء الزيتونة لعهده كان يحقد على الاستعمار ارتحل إلى الأسيتانة واستقر بها إلى أن توفي بها عام 1915م. أنظر: علي رضا الحسيني، **شخصية المكي بن عزوز وآثاره**، د.ط، دار الحسينية للكتاب، 2002، ص: 11.

[3] قاضي الإسكندرية والذي كان آية في العلم المعقول والمنقول وفخر الأزهر والأزهرين والبقية الباقية له باع طويل في التفسير والحديث والعلوم الشرعية، ولقد شهد له الجميع بما يحسن الاستشهادية في سيرته الراضية وثباته وتجلده وتحصيله الوافي، بعدما أصبح مشاركا في فنون جمة من فنون الجامع، وعلم الكلام.

[4] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 77.

[5] هو محمود الخطاب السبكي، ولد الإمام ببلدة سبك الأحد من قرى مركز أشمون بمحافظة المنوفية في يوم الخميس عام 1274هـ- 1858م، نشأ الشيخ الإمام بين أبوين طاهرين رباه بأحسن التربية، بدأ الشيخ حياته مزارعا أميا لا يقرأ ولا يكتب، لكن لم يرضيه هذا، فما هي إلا أيام تعد حتى صار الشيخ السبكي يجيد الكتابة والقراءة. رحل إلى الأزهر الشريف لتلقي العلم، فأصبح أزهريا من الأزهريين ومرشدا وواعظا، حتى نال الشهادة العالمية. وبعدها أستاذا وإماما في الأزهر توفي عام 1933.

[6] ولد عام (1291هـ-1874م) زعيم سياسي وكاتب مصري أسس الحزب الوطني وجريدة اللواء، كان من المنادين بإعادة إنشاء الجامعة الإسلامية، عرف بدوره الكبير في مجالات النهضة مثل نشر التعليم وإنشاء الجامعة العربية، من المعادين الاستعمار، توفي عام (1326هـ-1908م).

أما الإمام الشيخ "عبد الحميد بن باديس"[1]، فقد تعرف عليه في طريق عودته من الحج ومنحه إجازة علمية. أيضا من أساتذة الزّريبي "الشيخ البحيري"[2] كما أشاد بالشيخ "حسن العطار"[3] رغم فارق الزمان الطويل بينهما غير أن آراء العطار في الأزهر كانت معروفة وكتبه مقررة وغيرهم من الشيوخ، الذين نال منهم جميعا رضاهم وإعجابهم بحزمه، وجهاده العلمي، وتفوقه في المعقول والمنقول وكان يعتمد على تأليفهم في كثير من مواقفه الإصلاحية والاجتهادية وأخيرا نال الشهادة العالمية من الأزهر الشريف. رحمهم الله جميعا[4].

سادسا: عودته من مصر والظروف التي تلقاها من قبل أهل بلدته:

قرر مولود الزّريبي العودة إلى الوطن[5]، ليواصل الجهاد في ميدان العلم والدعوة إليه وإلى الصراط المستقيم، لخدمة وطنه وخدمة دينه ولغته، إذ يذكر زهير الزّاهري: "أن مولود الزّريبي لمّا انتهى من دراسته، رجع إلى مسقط رأسه وكان ذلك عشية ح.ع.1 وكان التجنيد الإجباري قد أصبح قانونيا وكان الشبان يفرون من الجندية بالهجرة نحوها، أما الزّريبي فقد عاد من هجرته وهذا الأمر يتجلى في حبه لوطنه وإخلاصه له ورغبته الشديدة في نفسه، إذ لولا ذلك لبقي في مصر بعيدا عن جحيم الاستعمار الفرنسي"[6]، وهو بشهادته العالمية، يستطيع العيش برخاء كما فعل بعض الجزائريين الذين بقوا هناك في مصر بعد انتهائهم من الدراسة حتى توفوا، لكن مولود الزّريبي أبت عليه وطنيته الصادقة، إلا أن يعود إلى وطنه مهما كانت الظروف فيه قاسية أو معاكسة، وليس هناك أجمل من العلم والوطنية إذا اجتمعا في شخص، فالعلم إذا كان وطنيا

---

(1) هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن محمد كحّول بن الحاج علي النوري بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن بركات بن عبد الرحمن بن باديس الصنهاجي. ولد بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، يوم الجمعة الموافق لـ 4 ديسمبر 1889 م من أسرة مشهور بقسنطينة من رجالات الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، وهو مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين توفي عام 1889.

(2) قبل مئة وعشرين سنة صدرت الجريدة الأولى في طرابلس تحمل اسم « طرابلس » بعد مخاضٍ عسير، إذ كان شيخ أبو الهدى الصيادي المقرب من السلطان عبد الحميد يحول دون ترخيص لجريدة « طرابلس » وإنشاء مطبعة « البلاغة »، وانتهى المخاض يوم دُعي العلّامة الشيخ حسين الجسر، أستاذ محمد كامل البحيري إلى الآستانة حيث كان جمال الدين الأفغاني في ضيافة السلطان عبد الحميد، وكان يتشوق لمقابلة الشيخ الجسر، وكانت مناسبة لإقناع الشيخ الأفغاني بالتوسط إلى السلطان عبد الحميد لمنح البحيري الترخيص بتأسيس مطبعة وإصدار الجريدة التي استمرت بالصدور 27 سنة (1893-1920) وتوقفت عن الصدور بعد وفاة صاحبها سنة 1920.

(3) مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 113.

(4) محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص ص: 74-75.

(5) عبد القادر قويع، مرجع سابق، ص: 52 .

(6) فوزي مصمودي ، **زهير الزّاهري اللبناني...**، مرجع سابق، ص ص: 31-32.

صادقا، نفع وطنه بعلمه الذي يهتدي إلى الحق. لأن الوطنية الصادقة طاقة في الأعماق تولد الحرارة وتفجر الشجاعة وتدعوا إلى التضحية والفداء ومواجهة المحن والشدائد في سبيل الله، وفي سبيل القيم والمثل والمقدسات[1].

عاد الزّريبي إلى وطنه وقد شهد آثار النهضة في المشرق ويظهر أنه توقف بتونس فامتلأ بها أفكارا وآمالا ولكنه حين رجع إلى بلاده وجد الاستعمار جاثما و البدع تغزو المجتمع[2].

- **الظروف التي تلقاها من قبل أهل بلدته:**

ندّد مولود الزّريبي ببعض الزوايا والفرق الضالة، إذ يقول: ((ظهر في قطر الجزائر في هذا الزمان بدع كثيرة واعتقادات فاسدة وقام بها أناس يزعمون علوما وهم يأمرون العوام على الاستمرار في عوائدهم المحدثة الشنيعة، التي هي مصادمة للدين القويم، ومنبع هذه البدع بعض الزوايا فكم في الزوايا من خبايا بالغ فيهم (الشيوخ) تلاميذهم فاعتقدوا فيه ما اعتقد النصارى في المسيح فرأيت من الواجب علي القيام بالذب عن شعائر الدين ما دمت بين أظهرهم ووفقته بعض الأفاضل فصرنا بين مخرق ومرقع ومن المعلوم ندرة المرقع والباني لأن رجال الحق قليل)) [3].

ولكنه واجه المعارضة من بعض المستشيخين الذين ظلوا عاكفين على البدع وهم الذين قال فيهم في قصيدته يا وطني:

يا وطني لم آل جهدا وإنما رأيت زماني مع زمانك آتيا[4]

ولم يذكر الزّريبي باسم الطائفة التي كان ينتقدها، إذ كان يشير إلى بعض الطرق الصوفية، وإلى بعض من المشايخ المتصوفين عمومًا، حيث قال: ((إنهم ممن سمعنا بهم في هذا الزمان الذين تنوعوا في البدع والمحادثات الشنيعة، بل إنهم يأتون المنكرات الفظيعة حتى إنهم في حرمات صلاتهم المردودة يصيحون ويرقصون ويضربون بعضهم بعضا، إنها فرقة ينبغي لنا تحاشي التصريح باسمها استغناء بذكر رمزها وقد بلغني أن من أنكر عليها ذلك رموه بالزندقة))[5].

---

(1) أحمد مريوش، (**السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري وردود الفعل الوطنية ما بين(1900-1930)**)، **المصادر**، مجلة سداسية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع:20، 2009، ص:214.

(2) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ج5، ص: 280.

(3) مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 61.

(4) محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 180.

(5) مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 30.

يذكر المرحوم "محمد الهادي السنوسي": ((ما كنت أعلم أن أحدا صدع بدعوة المصلحين في ذلك الوقت قبله، صدع بذلك غير وجل، وهو الغريب كل الغربة فيما صدع به، ولست أنسى ما يطرق أذاني من أنه معتزلي وفي بعض الأحيان ملحد وزنديق معًا، ولقد كان أمثالي آنذاك يتجنبونه خوفا من أن يمسهم بإلحاده وزندقته فيمسهم عذاب لأجل ذلك من عند الله حتى عرفنا الحقيقة فأصبحنا نبحث عن ذلك الذي تبين لنا أن لا ذنب له إلا الدعوة إلى الله وسنته في هذا الكون البديع وإلى السابقين من أسلافنا الكرام الذين لا يزالون مفخرة في فم التاريخ يرددها على مسمع من جميع الأجيال))[1].

وهناك نقطة أخرى نود أن نلفت إليها النظر بالنسبة للشيخ الزّريبي، وهي لهجة العنف التي استعملها ضد مشائخ الطرق الصوفية والخرافات[2]باعتبار أن المشائخ كانوا في نظره يصدرون أفعالهم عن تلقائية وحرية.

والواقع أن السياسة الفرنسية هي التي أوصلت إلى ذلك الوضع المتجمد، وكانت هي المستفيدة بالدرجة الأولى منه، فالمشائخ (المرابطون)، كما يسميهم الفرنسيون، قاموا بدور فعال قبل 1890. ثم أخذوا يتقهقرون، كما تقهقرت مؤسسات المجتمع الأخرى، مثل: الأجواد، والأعراش، والحضر، والقضاة، والأشراف، حسب تخطيط اتبعه الفرنسيون منذ الأربعينات من القرن الماضي[3].

حقيقة أن الفرنسيين أبقوا على بعض الزوايا ودعّموها لحاجتهم إليها، ولكنهم راقبوا شيوخها مراقبة شديدة، وقد استمروا على ذلك الوضع إلى الحرب العالمية الأولى، في نفس الوقت الذي كان الزّريبي يهاجم فيه الطرقية كانت هذه الطرق تقدم خدمة كبيرة للإدارة الاستعمارية[4] بسيطرتها على عقول العامة، في غياب التعليم والأحزّاب السياسية، وإيمان النخبة بالاندماج بين التراث العربي والإسلامي وبين "التنوير" الأوروبي وحركة التقدم العلمي والتقني[5].

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 158.

[2] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب**...، مرجع سابق، ص: 185.

[3] نفسه، ص: 171.

[4] عند اندلاع الحرب العالمية الأولى هرعت الطرق الصوفية إلى إصدار التأييد المطلق لفرنسا واستنكار موقف الدولة العثمانية .

[5] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب**...، مرجع سابق، ص: 186.

ويظهر أن هجوم الزّريبي على الطرق الصوفية مفيدا للإدارة الفرنسية، التي كانت تخطط لإحلال فئة متنورة من السكان محلّ "المتعصبة" القديمة، وهي الطرق الصوفية، وسيكون ظهور حركة العلماء جزءا من هذا المخطّط، ولكن شتّان بين التخطيط والفعل[1].

ويمضي الأستاذ محمد الهادي في شهادته ويقول: ((لقد ثارت عليه ثائرة الدجالين، في ذلك الوسط من أبناء الدجالين وافتروا عليه الأقاويل ونصبوا ما نصبوا من حبائلهم التي لا تزال في أيدي المصلحين المؤمنين تعمل بإذن الله في تمزيقها، وسينتقم الله من أعدائه وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير))[2].

إن الأمراض الصحية، أسهل علاجا وأيسر مقاومة ودفعا، ولكن الأفكار العقلية أخطر وأشد وأعمق وأكثر استعصاء على العلاج والمقاومة، والأفكار الراسخة في عقول سكان زريبة الوادي، كانت عقائد زائفة موروثة، وعادات وتقاليد باطلة، وتنكر لأهل العلم والإصلاح، ومحاربتهم ووضع العراقيل في طريقهم[3].

وهنا الزّريبي نفسه يحدثنا عن هذا الوضع ويقول: ((وقعت لنا وقائع كثيرة ومحن عزيزة، في هذه البلدة التعسة التي لولا قضاء الله تعالى والقدر، لما بقيت بها طرفة عين وهي زريبة الوادي فإن أهلها أشد جهلا ممن سواهم واقرب إلى المنكرات ممن عداهم حتى أنني كنت في هذا الوقت على ساق السعي والجد في بناء جامع في هذه البلد مع بعض الأفاضل، إلا أنها مع كونها قرية صغيرة كان أهلها متفرقين في جمعهم على ثلاثة جوامع، وبعدها دعوناهم للاجتماع بهذا الجامع أجابوا لذلك مع كمون بعض طبائعهم وآرائهم العقيمة تحت طي المكر والخداع، وعندما أخذنا في تشييده وتجديده رجعوا لما كانوا عليه واظهروا العداوة والبغضاء، ولبأس ما كانوا يفعلون وإلى الآن فالجامع لا يزال معلقا في الهواء من غير سقف، فحق لي أن أتمثل بقول القائل:

عجب تلك قضية وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب

وهذا كله بعدما رجعت من مصر، وبعد القراءة بالجامع الأزهر الشريف فصرت أتنهد عليها تنهد الثكلى وحملتي على العود منها الشوق إلى الأهل والوطن وحينما رجعت وجدت أنه ليس المنزل بالمنزل ولا الوطن بالوطن شعر.

ربّ يوم بكيت فيه فلما كنت في غيره بكيت عليه))[1]

---

[1] منذ 1897 كتب ديبون وكوبولاني كتابهما الطرق الدينية الإسلامية لعام 1897م بوصفية إلى السلطات الفرنسية تقوم على وضع برنامج يأخذ بزمام الموقف للقوة الوحيدة التي بقيت للأهالي (الطرق الصوفية) لكي تخدمنا إلى اليوم الذي نعارضها فيه بقوة أخرى أكثر تنورا، عندئذ نواصل تفتيت هذه الطرق.

[2] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 158.

[3] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 76.

يقول مولود الزّريبي: ((فقد ظهر لي أن مصر هي معدن الأدباء ونادي الظرفاء وما لها بدل فيما رأت عيني بها المحاسن ما لا تحيط به العقول سيما المدارس الفخمة التي هي منبع الفحول ولا أظن أنه يحاكيها في هذا الوقت في العلوم من الأقطار وسائر المطبوعات العلمية المستعملة عندنا اليوم لا تصدر، لأن منها نادرا، وبالجملة ففضلها أجل من أن يحصر))[2].

ويذكر الأستاذ "عمار طالبي" في مقدمته المدخلية للآثار بن باديس ((كان للأستاذ الزّريبي زميل أزهري جزائري هو الشيخ "عسول العبيدي"، وكان يعارضه في فكرته الإصلاحية مما أدى إلى وقوع مناظرات بينهما أمام الشيخ "علي بن ناجي" وجماعة من طلبة اليانة، وكان موضوعها "محدثات الأمور في الدين))[3] ولما جاء الشيخ الطيب العقبي[4] إلى الجزائر وقعت بينه وبين الشيخ المولود الزّريبي خصومات.

ويقولون أنه ملحد وقالوا أنه معتزلي، ولكنه كان يواجه ذلك كله بالصبر ويتمثل بقول الشاعر:

إن يحسدوني فإن غير لائمهم قلبي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد

أنا الذي يجدوني في صدورهم لا ارتقي صدرًا منها ولا أرد[5]

---

[1] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 60.

[2] نفسه، ص ص: 60-61.

[3] عمار طالبي، **بن باديس حياته وآثاره**، مرجع سابق، ص ص: 29-30.

[4] من سيدي عقبة جنوب الجزائر ولد سنة 1889. عالم وشاعر مصلح، هاجر مع أسرته إلى الحجاز حيث عاش صباه ثم عاد سنة 1920 وأصدر جريدة الإصلاح ببسكرة وهو من مؤسسي جمعية العلماء ترأس تحرير البصائر 1936 وتعرض لمطاردة السلطات الفرنسية، وهو ممن هاجموا الطرقية بعنف شعرا ونثرا، ثمّ انفصل عن جمعية العلماء بعد خلافه معها، حاول طبع شعره ولكن معظمه فقد بسبب ظروف تنقله وهجرته توفي1959 . أنظر فوزي مصمودي، **(منطقة الزيبان في الحركة الوطنية والثورة التحريرية)**، **الخلدونية**، تصدرها الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، ع:11، 2013، ص:3. كذلك أنظر: عسّاف صالح عسّاف ونور الدين شعباني، **ولاية بسكرة 07**، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص: 41.

[5] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 76.

الفصل الثالث

الزّريبي وإسهاماته في الحركة الإصلاحية والصحفية

أولا: التعليم بزريبة الوادي والأساليب الإصلاحية التي اتبعها مولود الزّريبي:

لم يكد يعود الزّريبي إلى الجزائر ويستقر في مسقط رأسه زريبة الوادي، حتى أخذ ينشر العلم في ربوعها، ويهيب بالعقول أن تستيقظ وتتجه نحو الكمال الممكن في هذه الحياة[1]، وكان أينما نظر رأى أبناء جلدته في وضع لا يتفق مع مبادئ الإسلام: أسر مفككة، وروابط ممزقة، وخرافات مستحكمة، وصدور بالحسد عامرة، وتنافس دنيء، وطمع رخيص، وبكلمة مختصرة جامعة: كانت الحياة في زريبة الوادي عند عامة أهلها تعسة[2].

رأى مولود الزّريبي هذا الوضع الدنيء المزري، فتصدى لإصلاحه، وبذل جهدًا كبيرًا في تغييره، وما من وسيلة رآها ناجعة إلا استعملها لتوصيل رسالته التعليمية الإصلاحية مما كان يعترض طريقته من مشاغبات، ومنغصات، شأن كل عالم مصلح يوجه الناس بإنكار عندما يلتزم الأمر لذلك، أيضا عندما يتشبث الناس بالبدع والأباطيل الراسخة في عقولهم.

قضى الزّريبي معلما في مسقط رأسه "زريبة الوادي"[3] عامين جاهدا خلالهم جهاد الأبرار، في سبيل تطهير العقول مما ران عليها من بدع وخرفات وإضاءتها بنور العلم الصحيح، والتوجيه الرشيد البناء، ولكن القوم عوض أن يشكروا النعمة، ويدركوا ما لهم فيه من علل وأمراض فيهتموا بعلاجها وينقادوا لمن يصلحها وهو منهم وإليهم، كفروا بها وجحدوا وحاربوها، لأنهم تعودوا على الظلام، واستمرءوا مرارة الجهل، فما كان منه إلا أن هاجرهم، وقال الزّريبي ((أنه من الواجب علي القيام بالذّب عن شعائر الدين مادمت بين أظهرهم، ووفق في ذلك صحبة بعض الأفاضل فصاروا بين مخرق ومرقع أو بين باني ومهدم، ومن المعلوم ندرة المرقع والباني لأن رجال الحق قليل ولهذا نجد بعض المستشيخين لم يرتضوا بالبدع ولم يدّروا أن كل محدثة بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار))[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ج8، ص: 259.

[2] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 60.

[3] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 159.

[4] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 61.

- الأساليب الإصلاحية التي اتبعها مولود الزّريبي:

دعا الزّريبي إلى التعلم وخاطب الشباب الإسلامي بلغة صريحة في ضرورة اكتساب العلم والأدب، وتحصيل الشعر الذي قال عنه إنه يهذب الطبع والنفس، فالزّريبي في هذا مقلد للقدماء[1]، ولكنه بالنسبة لزمنه كان يواصل رسالة "الشيخ المجاوي"[2] وإلى حد ما رسالة "الشيخ بن مهنة"، وأضرابهما من رواد حركة الإصلاح، إذ يقول الزّريبي عن علم المنطق: ((ما أحوج علماء الكلام إلى التعمق في المنطق واثبات العقائد الدينية))[3]، واعتبر المنطق من علوم الفلسفة، ولكن الحاجة الشديدة إليه لفهم وجود الله وترسيخ العقيدة في التوحيد ونحوه، وهو العلم الذي يقف في وجه الخرافات والأهواء[4]، فكانت انتقاداته لعلماء الجزائر في وقته قائمة على ضحالة ثقافتهم المنطقية وعدم إدراك حقائق الوجود، حيث أشاد الزّريبي بمشاهير الأدباء مثل: "بديع الزمان الهمذاني"[5] و"الحريري"، ومن رأيه أن العلماء يجب أن يجمعوا بين الفقه والنحو، والمنطق والأدب، ومن أقواله أن الحياة الأدبية مقدمة على الحياة المادية[6].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 182.

(2) ولد عبد القادر المجاوي في تلمسان سنة (1267هـ-1848)، بدأ دراسته في مسقط رأسه ثم انتقل إلى طنجة وفاس وجامع القرويين لمواصلة دراسته، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1292هـ وقد أدى فريضة الحج ليتولى التدريس أولا في قسنطينة، عمل في جامع الكتاني سنة 1292هـ والمدرسة الحكومية سنة 1295م، بالإضافة إلى نشاطه كمدرس ومحاضر في المدارس الحرة والمساجد كمسجد سيدي الأخضر، عين إماما خطيبا بجامع سيدي رمضان بالجزائر سنة 1326هـ-1908م توفي بقسنطينة في 6 أكتوبر 1914.

(3) مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 65.

(4) نفسه، ص : 89.

(5) أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني، (358هـ/969م)، (395 هـ/1007 م)، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة استوطنت همذان وبها ولد بديع الزمان فنسب إليها، وقد تمكن بديع الزمان بفضل أصله العربي وموطنه الفارسي من امتلاك الثقافتين العربية والفارسية وتضلعه في آدابهما فكان لغوياً وأديبًا وشاعراً عام 380هـ، فودع الحياة التي خَبِرها. وله مجموعة من الآثار وهي: مجموعة رسائل، ديوان الشعر، مقامات (وهي أبرز ما خلفه بديع الزمان).

(6) مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 43. ولا شك أن ذلك كان نقدا للعلماء الموظفين في السلك الديني والقضائي، وكانوا عادة من خرجي المدارس الرسمية ، وكان بعضهم من أهل الزوايا.

وشملت حملة الزّريبي أهل قريته (زريبة الوادي) أيضا[1]. ويبدوا أنه حاول استنهاضهم فوجدهم كغيرهم راكدين متفرقين تتحكم فيهم الطرق الصوفية والاستعمار، وقد سمّاها وهو غاضب محبط "البلدة التعسة"[2] ومع ذلك أقام فيها فترة وحاول الإصلاح بها، واعتبر ذلك من قضاء الله وقدره، ولولاه لما بقي بها "طرفة عين" فكأنه كان مبعوثا إليها لهداية قومه. وقد استطاع أن يقنع أهل بلدته ببناء جامع[3] جمعة واحد، بعد أن كانوا متفرقين على ثلاثة جوامع، رغم أن البلدة صغيرة ويكفيها جامع واحد. ويبدوا أن تأثرهم بدعوته كان غير عميق لأنه وصفه بالخدعة والمضض[4]. ثم إن مشروع الجامع الواحد لم يكتمل إذ تركوا الجامع غير مسقّف، وعادوا إلى ما كانوا عليه، ولكنه اعترف أن بعضهم قد استجاب له وناضل معه.

والظاهر أن الزّريبي قد أخفق في مشروعه الخيري هذا، ولم يكتب له النجاح بعد رد أهل المنطقة وبقي المسجد في الهواء ولم يكتمل بنائه، ومن ثمّ عبّر الزّريبي عن سخطه تجاه قومه:

يا قوم مالي أراكم في جهالتكم كقوم موسى طغو فهالهم صغر
إذا رأوا حبر علم استفزوا به ولو أتاهم عثمان أو عمر
هذا الذي ترك العلوم خامدة وأفسد القطر حتى عمه الضجر
والعقل تصلحه العلوم والحكم وليس تصلحه الآصال والبكر[5]

ثار الزّريبي أيضا على علماء الجزائر عمومًا لأنهم يكتفون بالأمور السطحية ولا يتعمقون في المعلومات. فكان علمهم قاصرًا وباعهم قصيرًا، وكان الشيخ العطّار قد أخذ على علماء وقته الأمور

---

[1] عبد الملك مرتاض، **معجم شعراء ...**، مرجع سابق، ص: 224.

[2] مولود الزّريبي، مصدرسابق، ص: 61. أنظر: إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية الثورة في الأوراس باتنة، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من (1837-1954)**، د.ط، دار الشهاب، باتنة (الجزائر)، د.ت، ص: 214.

[3] أنظر الملحق رقم: 4.

[4] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 63.

[5] أحمد مريوش، **(السياسة الفرنسية في الجنوب...)**، **المصادر**، مرجع سابق، ص: 215.

السطحية والاكتفاء بالقليل من العلم[1]، ثم قال "الزّريبي": ((ليت العطّار حضر لوقتنا ورأى ما عليه حال علماء الجزائر، إذ يكتفون ببعض المتون في الفقه والنحو حتى أن من قرأ الأجرومية وميارة الصغرى عدّ نفسه من العلماء، وصار مدرسّا ولا يبالي بجهله، وأصبح يحرم ويحلل ولو باحثته أو ناظرته لاكتشفت جهله))[2].

ويبدو أن الزّريبي كان يقصد هنا علماء الزوايا والمراكز الباقية الأخرى، لأن السلطة الفرنسية في الواقع جرّدت هذه المؤسسات من تعليمها وكتبها وأوقافها وأساتذتها، فبقي حالها على النحو الذي وصفه الزّريبي(علمهم قاصرا وباعهم قصيرا)، وهو في ذلك لم يتعمق في الأسباب وإنما حكم على الظاهرة نفسها، وهو محق في ذلك، ولكنه لو تعمّق الأسباب لعرف كيف وصلت الأمور إلى تلك الحال، والزّريبي في ذلك يتفق مع كل الذين انتقدوا طريقة التعليم القديمة، إذ يظل "الطالب" يقرأ المتون الفقهية مجردة من شرحها نحو عشرين سنة، متعلما على بعض الفقهاء القاصرين، وبذلك يتخرج الطالب رغم المدة الطويلة "عديم الذوق والملكة، مكتفيا بحفظ نصوص ونّقول"[3] ومن واجب العلماء في نظره، بعد الإحاطة بالعلوم الفقهية والعربية وغيرها، السفر والاغتراب في طلب العلم[4].

أيضا هناك أبيات كتبها مولود الزّريبي[5] ضمن المساجلة الشعرية بين هذا الشاعر الذي ينتمي إلى الحركة الإصلاحية في الجزائر منذ العشرينيات، وبين شاعر آخر ينتمي إلى (الطرق الصوفية) التي شوهت معظم مبادئ الإسلام، وغررت بعامة الشعب الأمي، فتأخذ منهم الأموال وتبعدهم عن الوعي بمصيرهم في ضرورة مواجهة الاستعمار الفرنسي، لكن الحقيقة في ذلك أن بعض الأطراف الطرقية قد ناصرت وتفاعلت مع الوجود الاستعماري حتى خلال مرحلة التوسع والاستيطان، حيث قال شاعرنا المصلح مولود الزّريبي مخاطبا شاعر (الطرقية):

حـالك اليوم كشيـخ بين أنذال الأنــام

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 183.

(2) مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 77.

(3) نفسه، ص: 42 .

(4) أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 184.

(5) أبو القاسم سعد الله، **شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة**، تص: الإبراهيمي محمد البشير، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 27.

يرفع الصوت بغي كحمـار بقتـام[1]

وفي مثل هذا النوع من المساجلات الشعرية التي تجري بين شاعرين أو بين فريقين من الشعراء، تتغير القافية من فكرة إلى أخرى يقول شاعرنا مخاطبا خصمه:

أنت الغرور وما تبديه مختلف وهل يشين الكرام قول من نهقوا

تبدي زخارف أقوال لمن ألفو حب المناكر والحكول قد عشقوا

رمت الزعامة كالأخيار مجتنبا وقد أبت الألى بالحق قد نطقوا

هذا القريض الذي حشوته كذبا سبيل أولى النهر وغرك الفسق

حب المناكر والكحول قد عشقوا وقمت تعوي به وهزك النزق

ظننت أن لك العوام طائعه لما دفعت فخاب الظّن وافترقوا[2]

وفي موضع آخر:

يا أيها الشاعر الذي جر ذيله متبخترا في جبة الخيلاء

أتعبت نفسك فيما لست تناله ولقد رقمت على وجوه الماء

أسنح بسمعك كي نريك فذالكا تسموا بها أو تدنوا عند تناء

عافت مجاري مياهكم بقرالمها والثور يضرب عن ورود الشاء

لقد دامت المعركة بين الشاعر المصلح (الزّريبي) وبين شاعر (الطرق الصوفي) الذي سمى نفسه (رشيدا)، ولو لا وفاة شاعرنا الزّريبي لتوقعنا منه مواصلة تلك المعركة الفكرية الأدبية[3] .

ثانيا: التعليم بالأوراس (الحجاج) والأساليب الإصلاحية التي اتبعها مولود الزّريبي:

[1] الريعي بن سلامة، مرجع سابق، ص: 696.

[2] عبد الله ركيبي، مرجع سابق، ص: 697 .

[3] مولود الزّريبي، مصدر سابق ، ص: 61.

أخذ الزّريبي ينتقل في قرى الناحية بحثا عن العمل و نشرا لأفكاره الإصلاحية، فدخل الزّريبي، إلى الأوراس[1]، بطلب من أهلها، وإلحاحهم بالمجيء إليهم، ثم انتقل إلى "أريس"[2] وأقام بين القريتين قرية "الحجاج"[3] وقرية "الحمراء"[4]. تزوج في قرية الحجاج، وجلس للتعليم في قرية الحمراء حيث احتضنته أسرة (صالحي)، التي تشترك مع أسرته في اللقب وفي النسب، وكان تدريسه في قرية "تكوت"[5] ، والمهم عند الزّريبي، أنه استطاع بث العلم والتعليم، ونشر مؤسسات تعليمية تربوية عمادها الدين الإسلامي، ومن الأوراس خرج الزّريبي إلى باتنة[6] فانتصب لبث العلم ونشر الهداية في تلك الربوع، وكان كعادته حيوية ونشاطا، يدعوا إلى نبذ الخرافات والعادات والتقاليد البالية، التي تعد وصمة عار في جبين التاريخ [7].

- **الأساليب الإصلاحية التي اتبعها مولود الزّريبي:**

---

[1] الأوراس: ارتبطت جبال الأوراس بالثورة التحريرية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي فهي المدينة التي انطلقت بها أول رصاصة لإعلان الثورة التحريرية وهي منطقة جبلية تجمع التنوع الطبيعي في الجزائر بين الجبال الصخرية والمناخ الحار والجاف وبين الجبال والطبيعة الخضراء وبين الثلوج، في الأوراس الشامخة إضافة إلى الآثار الرومانية ولعل من أهمها المواقع الأثرية و المعالم التاريخية لولاية باتنة مدينة باتنة، عاصمة الأوراس ومقر الولاية، تقع على بعد 425 كم جنوب شرق الجزائر العاصمة وترتفع عن سطح البحر بـ980م. الولايات المحاذية لولاية باتنة هي: من الشرق تبسة، أم البواقي وخنشلة، من الشمال الغربي سطيف ومسيلة، من الشمال الشرقي ميلة ومن لجنوب بسكرة.

[2] أريس: مدينة تقع في قلب الأوراس، هي مهد ثورة التحرير الجزائرية، مدينة عريقة في التاريخ، اسمها يعني بالأمازيغية الأسد والحصان (أر= الأسد؛ أريس= الحصان) وهناك معنى آخر هو التراب الأبيض (هريست) المعروف عندنا في أريس هناك واد يعبر على أريس اسمه الواد الأبيض (أغزر إملال) لهذا اشتقت منه هذا الاسم الذي ينبع من قمة شليا (شليث) المرتفعة العالية علوها 2330م.

[3] قرية الحجاج: تابعة إداريا إلى منطقة آريس تبعد عنها بـ4 كيلوا متر، تقع على الطريق الوطني رقم 31 اتجاه ولاية باتنة، يحدها شمالا قرية باشا وغابة الذرعان وجنوبا آريس وشرقا دشرة أولاد موسى وغربا جبل تفرانت الظهري.

[4] قرية الحمراء: أطلقوها على السكان الأصليين لبشرتهم الحمراء، وهي منطقة صناعية يوجد بها مصنع السميد ومصنع للأزرار، تبعد عن منطقة أريس بـ3 كلم وعن عاصمة ولاية باتنة بـ65 كلم، تقع على الطريق الوطني رقم31 تتوسط جبال الأوراس، وهي تابعة إداريا إلى دائرة أريس تحدها بلدية تبغانمين جنوبا وغربا جبال المنعة وبوزينة وشمالا دائرة أريس وشرقا جبال تفرنت.

[5] تكوت: في قلب الأوراس تقع جنوب شرق عاصمة الولاية باتنة، تعتبر مهد ثورة التحرير الوطنية حيث انطلقت بها أول رصاصة بتاغيت، وقرية تكوت القديمة المعروفة بطابعها الإسلامي وجامعها الأثري والأماكن الأثرية الملقبة للشيخ عبد السلام. مناخها شبه صحراوي بارد شتاءا حار صيفا ذات طابع جبلي كقرية شناورة، الهارة، حنبلة، هملوضيث.

[6] باتنة: هي عاصمة الأوراس في الشر ق الجزائري، وقاعدة من قواعد الثورة التحريرية. استمدت تسميتها من بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م. أنظر: محمد الهادي السنوسي الزّاهري، ص: 159.

[7] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 177.

استطاع مولود الزّريبي أن يبث جهاده العلمي والإصلاحي في هذا الوسط، الذي اتضح أثره الحسن، إذ هدى الله به أقواما سبقت لهم العناية، واستطاع في فترة وجيزة تشييد مسجد "بباتنة"[1] بمساعدة رجال عرفوا بالفضل وحب الخير، فكان للدعوة آذان صاغية وقلوب واعية، وشيد المسجد، وصار قلعة من القلاع الإسلامية تقام فيها الشعائر الدينية، ويذكر فيه اسم الله، وكان هذا المسجد مأثرة من مآثر هذا الرجل، وحسنة من حسنات هذه القرية.

وما أجمل أن تكلل جهود المصلحين بالنجاح فيتحول بها الشر الذي يهدد الأمن ويقضي على الإسلام إلى خير فيعيش الناس هداة إلى الحق دعاة إلى أخلاق نبيلة تقاوم فساد النفوس، وتبذر في القلب بذور الخير وتبدد قوائم الجهل والضلال، فيؤدي كل دوره ورسالته في أمن وطمأنينة، لا من منازع ولا من معاكس[2].

كان نشاط الزريبي في الأوراس أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث أصبح التجنيد الإجباري قانونيا، وكان الشبّان يفرون من الجندية بالهجرة أما الزريبي فقد عاد من هجرته، وهي فترة لم تكن سهلة على أهل الأوراس إذ كانت تستعد لثورتها الشهيرة 1916م، وكان المتمردون على السلطة الفرنسية كثيرا ما لجئوا إلى أدغال الأوراس، فالثورة التي اندلعت هناك قد أدت إلى محاصرة المنطقة كلها حوالي سنتين من قبل القوات الفرنسية وإلى قطع المؤونة عنها وتعريضها لاضطهاد فضيع على يد الحاكم العام الجديد " شارل لوطو " [3]

وقد كان سبب نجاح دعوة الزّريبي الإصلاحية، في الأوراس ولم ينجح في مسقط رأسه زريبة الوادي، أنه في زريبة الوادي، كان بين قومه وعشيرته، ومن طبيعتهم أن يزهدوا في العالم إذا كان منهم، ويتعلقوا به إذا كان أجنبيا عنهم، وأخذ في الأمثال مثل " أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه".

ومقولة الماوردي صاحب كتاب الأحكام السلطانية: ((... فإذا قرب منك العالم فلا تطلب ما بعد، وربما انبعثت نفس الإنسان إلى من بعد عنه استهانة بمن قرب منه وطلب ما صعب احتقارًا لما سهل عليه وانتقل إلى من لم يخبره مللاً من خبرة فلا يدرك مطلوبا ولا يظفر بطائل)).

وقول أحد أعلام الفكر الإسلامي: رأيت في كراسة لأبي حيان: أوحى الله الإنجيل إلى عيسى: لا يفقد النبي حرمته إلا في بلده[4].

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 159.

[2] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص ص: 78- 79 .

[3] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 176.

[4] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص ص: 79.

ويظهر أن الزّريبي كان ثائرًا على البدع والخرافات، وكان الإصلاح وتغيير الوضع الرائد أبرز أعماله في كل مكان يحل به، أما طريقة الإصلاح والتغيير فقد تختلف من مصلح إلى آخر، مما جعلهم (أي المصلحين) يتناظرون ويتصادمون أحيانا لاختلاف الرؤية ولكن الإصلاح يظل دائما سنة المصلحين الثائرين في هذه الحياة ودفعة قوية من التطور كما يظل الإصلاح على الدوام أعدى أعداء الخاملين الجامدين الذين ألفوا الظلام ويخافون من النور المبين، فأينما حلّ المصلح بين هؤلاء لم يلقى إلا تنكرا ومعاضة ومحاربة[1].

ثالثا: آثار مولود الزّريبي وفحوى تأليفه بدور الإفهام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام:

مولود الزّريبي له مؤلفات قليلة بعضها مطبوع، ومن هذه المطبوعة (بدور الأفهام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام)[2] وهو "شرح لعقائد بن عاشر الحبر الهمام" في التوحيد، وهي العقائد المعروفة بـ(المرشد المعين)، وقد جعله وسيلة لطرح أفكاره في الإصلاح، وفي دعوته إلى تعلم المنطق والتعمق في العلوم، كما ذكر في بعض قصائده وأخباره الخاصة، وبعد تأليفه إستجاز فيه علماء تونس فأجازوه له، فنشره وأصبح كتابًا عامًا يرجع إليه الطلبة وأهل الاختصاص، وللزّريبي مشروع كتاب في "الأخلاق" نشر منه فصولا في جريدة (الصديق)[3]، ويؤكد المعاصرون أنه لم يطبعه في كتاب، وربمّا لم يتمه تأليفا.

كما ذكر محمد الهادي السنوسي مخطوط لمولود الزّريبي "شرح على قدسية عبد الرحمان الاخضري"[4] شرحه شرحا نفيسا ما يزال مخطوطا وهو من النوادر التي يحتفظ بها العلامة المؤرخ الشيخ عبد

---

[2] نفسه، ص ص: 79- 80 .

[3] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 180. أنظر الملحق رقم: 5.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ...**، مرجع سابق، ج8، ص: 281.

[4] يعد الأخضري أهم شخصية دينية في الزيبان في العصر الحديث، وهو عبد الرحمان بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري ولد سنة 920هـ، وألف أكثر من ثلاثين(30) مؤلفا في العبادات والتوحيد والتصوف والحساب والفلك... درس في الزيتونة والأزهر والقرويين، وتأثر الناس بها قديما وحديثا، فطبعت وشرحت عدة مرات في المشرق والمغرب.

الرحمان الجيلالي[1] وهو من أهم التآليف التي عززت موقف الشيخ الأخضري في التصوف من خلال (القدسية) .

كما شرحها "الحسن الورتلاني" في رحلته، ونسخ على منوالها "عبد الكريم بن الفكون القسنطيني"[2] (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية) ، وربما لم يطلع الزّريبي على هذين العملين، أما التأليف الأخير الذي نسب إلى الزّريبي فهو شرح على كتاب البيوع من مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي، أما شعره فلم يجمع في ديوان[3]

فحوى بدور الأفهام أو شموس الأحلام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام:

مصدر مولود الزّريبي "بدور الأفهام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام" أهمية كبيرة ومتميزة، لأنه دوّن فيه آراءه الإصلاحية التي كان يريد إبلاغها إلى الناس وإذاعتها فيهم، لما يعرفه من تعلق الناس بعقائد "المرشد المعين" وتأثرهم بها، فحينما صدر هذا الكتاب سنة 1334 هـ أقبل عليه الناس في تلهف لأنه في

---

[1] هو الشيخ الجليل عبد الرحمان الجيلالي بن محمد، من مواليد 9 فبراير من سنة 1908 بمدينة الجزائر، حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية وهو صبيا، بلغ الشيخ عبد الرحمان درجة الفقيه فمارس الخطابة والإمامة بعدة مساجد، كما عمل أستاذا باحثا بالمتحف الوطني للآثار ومدرس للفقه المالكي وفي سنة 1987 تحصل الشيخ عبد الرحمان الجيلالي على شهادة تقدير من رئيس الجمهورية الجزائرية شادلي بن جديد ، ومن مؤلفاته نذكر ما يلي: كتاب حول ذكرى الدكتور بن شنب، الجزائر، سكة الأمير عبد القادر، تاريخ الجزائر العام في أربعة أجزاء، تحصل على الجائزة الأدبية الكبرى بالغة العربية سنة 1960 بالجزائر كرمته الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة خلال الملتقى الدولي عقبة بن نافع في شهر ديسمبر 2006، رغم كبر سنه لا زال الشيخ يحضر جلسات الأهلة من تنظيم وزارة الشؤون الدينية حتى عام 2009 كرمته جريدة الشروق تكريما يليق بمكانته العلمية توفي عام 2010. أنظر: مسعود كواتي ومحمد الشريف سيدي موسى، **أعلام مدينة الجزائر ومتيجة**، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010، ص ص: 98- 99.

[2] ولد عبد الكريم الفكون بقسنطينة سنة 988 هـ/1580م، ينتمي مترجمنا لأحد أعرق وأشهر البيوت العلمية في مدينة قسنطينة: بيت آل الفكُّون، نشأ الفكون في كنف والده الذي هو كان أول شيوخه فحفظ على يديه القرآن الكريم وتلقى المبادئ الأولية للعلوم في زاوية العائلة. تولى التدريس بالجامع الكبير بقسنطينة في حياة والده، كان بارعا في "فنون العربية لغة ونحوا وتصريفا وبلاغة مع المشاركة التامة في الفقه والأصلين الحديث والتصوف وغير ذلك، تخرج على يدي الفكون: أبو مهدي عيسى الثعالبي، وأبو سالم العياشي المغربي...، توفي بالطاعون عشية الخميس 27 ذي الحجة 1073هـ الموافق لـ 3 أوت 1663 م عن عمر يناهز خمس وثمانين سنة.

[3] فوزي مصمودي، **العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري ...**، مرجع سابق، ص: 155.

نظرهم شرح جديد لعقائد بن عاشر التي لها المكانة المتميزة في قلوبهم، وعندما يقرؤونه يجدونه كتابا في الإصلاح ومحاربة البدع والأباطيل[1].

وبذلك انتشرت أفكاره، وصارت على الألسن، ومنار المناقشات والمحاولات، وللأهمية كتاب شموس الأحلام[2] وأهمية أفكار المؤلف فيه الدينية والإصلاحية والاجتماعية نستعرض طائفة منها بإيجاز.

في مجال العقيدة والدين:

- الحمد والشكر:

يفرق مولود الزريبي بين الحمد والشكر بأن الأول يقع على السراء والضراء بخلاف الشكر، فعلى الأول فقط، ويرى أن الحمد على الواجب واجب وأن شكر النعم واجب[3]، وكل ذلك بطريق الشرع لا بالعقل، خلافا للمعتزلة القائلين بأن الحسن ما حسنه العقل، والقبيح ما قبحه العقل والصحيح مذهب السنة... فلا يدرك ثواب أو عقاب إلا من طريق الشرع قال الله تعالى: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا "[4].

- التفكير في آيات الكون:

التفكير في المخلوقات العلوية والسفلية مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار- كما يقول الإمام الغزالي- وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم وقد أمرالله تعالى عباده بالتدبر والتفكير للاستدلال على قدرته الباهرة وصنعته البدعية، فمن تفكر فيها بعمق اهتدى إلى صانعها القوي[5].

- الله نور السموات والأرض:

وبين قول أهل العلم في قوله تعالى: "الله نور السموات والأرض"[6] ثم قال: "وسمى الحق ذاته نورا لأن النور هو ضياء مظهر الأشياء، فإذا سمي ما يظهر غيره، بالإضافة إلى الإدراك نورا، فلأن يسمى من يظهر الأشياء من العدم إلى الوجود بالإيجاد أولى، بل هو نور النور، لأنه مظهر لكل نور مثل نوره أي نور

---

[1] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 84.

[2] مولود الزّريبي، مصدر سابق ص: 3 .

[3] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 85.

[4] سورة الإسراء « الآية 115 »

[5] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 86.

[6] سورة النور « الآية 35 »

الله تعالى في قلب المؤمن كمشكاة، المشكاة كوة غير نافذة فشبه صدره بالمشكاة وشبه قلبه في صدره بالقنديل في المشكاة وشبه معرفته بالمصباح في القنديل، وشبه القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الذري المضيء وشبه إمداده بالمعرفة بالزيت الصافي الذي يمد السراج في الاشتعال[1].

- أفضل الرسل:

تحدث عن الرسل وأفضلهم وعن أولي العزم منهم وعن الملائكة، حيث يقول الزّريبي: " فنبينا عليه الصلاة والسلام هو أفضل الخلق وأشرف الرسل فهو خير الأنبياء وأمته خير الأمم وملته أشرف الملل"[2]

لم يخلق الرحمان مثل محمد أبدا وعلمي أنه لا يخلق[3].

لقوله تعالى: "ولم نجد له عزما"[4] ثم ذكر أن أفضل الأنبياء محمد(ρ)[5]

- الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم:

هناك أدلة كثيرة نقلية على وجوب الصلاة على النبي ρ وأولها قوله تعالى: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما"[6]، حيث اتفق العلماء من السلف والخلف في المذاهب الأربعة كلها على وجوبها بناءً على نص الآية، ويقول العلامة الزّريبي في هذا المقام:

"والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم واجبان علينا مرة في العمر ويندب ما زاد على ذلك، فمن مات ولم يصلي عليه غير معاند مات عاصيا وإلا مات كافرا، ثم إنه ينبغي أن لا يمل احد من الصلاة والسلام على النبي ρ وأن تكرار ذكره مرارا في مجلس واحد أو كتابة اسمه ولا ينبغي الرمز إليها بالحروف أو نحتها كما يفعله بعض من لا روية له ولا فكر"[7].

- العربية لغة القرآن:

---

[1] مولود الزّريبي، مصدر سابق ص ص: 185- 186 .

[2] نفسه، ص: 120.

[3] نفسه ص: 121.

[4] سورة طه « الآية 115 »

[6] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 114.

[5] سورة الأحزاب « الآية 56 »

[7] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص ص: 122-121.

وفي ظل قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه"[1] ذكر أن من اللطائف الربانية أن نزل القرآن بالعربية لغة قوم الرسول ρ إذ لو نزل بلغة غير قومه لكان عليهم كلفة شديدة في ذلك ولذلك نزل الفرقان بالعربية، والتوراة بالعبرية، والإنجيل باليونانية، والزبور بالسريانية[2].

- التصوف:

ويرى أن التصوف هو صرف الهمة لله تعالى وقطعها عما سواه والعمل على تصفية النفس من الكدرات، والاجتهاد في فعل العبادات والطاعات، وهذا لا يختلف عن قول بعضهم أنه هو المعرفة والأدب والأخلاق وليس رسما ولا علما، ولو كان رسما يحصل بالمجاهدة ولو كان علما يحصل بالتعليم، لكنه تخلف بأخلاق القرآن وتطبيق لما جاء به الشرع الحنيف[3].

و كان مولود الزريبي يندد في كتابه بأهل البدع والخرافات الذين يدعون أنهم متصوفون لفت الأنظار إلى ذلك بقوله: "ومهما شنعت فيما يأتي في بعض مبتدعات أهل الطرق، فإنما الكلام في الطائفة التي بدلت وغيرت في أصل الطريقة وليست أريد القدح في أصلها وإلا فهي مبنية على مقتضى العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ρ فهي ثمرة الظاهر"[4].

- في ميدان الإصلاح:

تظهر شخصية مولود الزّريبي الإصلاحية في أنه تبرّم من قومه في "زريبة الوادي" وتأفف من جهلهم المركب وانحرافهم عن الجادة القويمة واستعصائهم على الهداية، فلم يكونوا يقبلون النصح والتوجيه ولم يزدادوا مع الإصلاح إلا فسادا وفي هذا السياق يقول: "... فقد ظهر لي الآن أن مصر هي معدن الأدباء ونادي الظرفاء وما لها بدل فيما رأت عيني فقد رأيت المحاسن ما لا تحيط به العقول سيما المدارس الفخمة التي هي منبع الفحول"[5].

- لا ينصح العالم إلاّ إذا أكرم:

يشير إلى أن العالم يجب أن يكرم ويقدر حتى يفيد وينفع، أما إذا أهين وانتقص قدره فإنه لا يلام إذا هجر قومه واتجه إلى أرض أخرى وقوم آخرين وهو في هذا يصور نفسه وحاله فقد كان بين قومه في "زريبة

---

[1] سورة إبراهيم « الآية 4 »

[2] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 62.

[3] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 89.

[4] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 62.

[5] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص ص: 60-61.

الوادي" مهانا محاربا فارتحل عنهم وهاجرهم، إذ يروي " أن القاضي عبد الوهاب المالكي نشأ ببغداد ولما خرج متوجها إلى مصر شيعه من أكابرها وعلمائها جماعة كثيرة فقال لهم: آن الوداع: لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقت بغداد... ومن شعره فيها قوله:

بغداد دار لأهل المال طيبة وللمفلسين دار الضنك والضيق

أقمت فيها مضاعا بين ساكنها كأنني مصحف في بيت زنديق[1]

وهكذا كان الزّريبي في مسقط رأسه يقاسي من ضيق العيش ومقاومة أهل البدع، فهاجرهم غير أسف وقديما قال الشاعر العربي:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هموا[2]

- إلى أصحاب الهمة والمروءة:

يقول الزّريبي: ((أعوذ بالله من زمن الفتن والبدع والمحن الذي صار فيه المبتدع مشهورا والعالم الجليل مثبوار فاختفت فيه العلماء وفشت فيه الزعماء)).

وما كان مولود الزّريبي الوحيد الذي عاش هذا الوضع الشاذ الذي انقلبت فيه المفاهيم وانعكست فيه الموازين بل هو وضع كل عالم جزائري، درس بالأزهر أو الزيتونة أو القروين، ثم عاد إلى الوطن لينشر العلم ويحارب البدع ويوجه إلى الحياة الكريمة فكم قاسى الشرقاوي من هؤلاء الذين شبّوا وشابوا على الظلام فاستمرؤوه وأثروه على الهدى والنور، وليس أصعب من تحويل عقول الناس على ما ألفوه وتعودوه، لاسيما إذا كان ورائهم الاستعمار يشدهم إلى هذا الوضع المألوف كما هو الحال بالجزائر[3].

رابعا: نشاط مولود الزّريبي في مجال الصحافة :

لقد حلّ الشيخ مولود الزّريبي بالعاصمة سنة 1920، وشرع في نشاطه الصحفي ودروسه الإرشادية، في الوقت الذي حل فيه الشيخ الطيب العقبي ببسكرة ونواحيها، قادما من الحجاز، كانت العاصمة في السنة

---

[1] نفسه، ص: 97.

[2] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 93.

[3] نفسه، ص ص: 93- 94 .

المذكورة 1920 قد غيّرت من وجهها القديم، فهناك حركة الأمير خالد[1] والانتخابات البلدية والمالية وظهور الصحافة وإنشاء النوادي، كانت تأثيرات الحرب على كل فم، أفكار تروج عن البولشوفية والليبرالية والرأسمالية، ومبادئ ويلسون ومؤتمر الصلح، إلى جانب حركة بن باديس التعليمية النشطة في قسنطينة، كل ذلك جعل العاصمة تعيش زخما كبيرا تستقبل الاحتفال المئوي بالاحتلال. وفي هذه الأوضاع ماذا سيفعل الزريبي بتقاليده القروية وأفكاره الإصلاحية[2].

يبدوا أن الزّريبي قد جاء إلى العاصمة مغامرًا، وربما طلبه أحد الزملاء في التعاون معه في المجال الصحفي، مثل: "عمر بن قدور"[3]، أو "محمد بن باكير"[4]، ولعل بعض الميزّابيين في باتنة قد ربطوا بينه وبين محمد بن بكير في العاصمة للعمل في الصحافة معًا.

ولكن لابد أن نذكر أن السيد بن باكير قد أنشأ مع عمر بن قدور صحيفة "الصديق" [5] قبل أن يتولى تحريرها مولود الزّريبي (1920) [1]، وصدرت هذه الجريدة الأسبوعية بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها

---

[1] هو خالد الهاشمي بن الأمير عبد القادر ولد علم 1875م بدمشق ، تخرج من الكلية الحربية الفرنسية المعروفة بسان سير التي تخرج منها عام 1897م، وهو مؤسس الحركة الإصلاحية، أسس جريدة الإقدام سنة 1920م، نفي خارج الجزائر لمنه لم ينه نشاطه السياسي فقد شارك في مؤتمر باريس للدفاع عن حقوق الإنسان.

[2] أبو القاسم سعد الله ، **خارج السرب...**، مرجع سابق، ص: 177.

[3] من مواليد 1886–صحفي وأديب من رواد الصحافة العربية الوطنية أنشأ "الفاروق" 1913. شاعر إصلاحي متصوف نظم كثيرا من القصائد الدينية وأهتم بقضايا العالم الإسلامي. ويعتبر من كتاب المقال الإصلاحي. ولكنه يميل إلى الطريقة التيجانية في تصوفه، توفي عام 1930، أنظر: عبد الله ركيبي، ص: 170.

[4] تاجر كبير من وادي ميزّاب (ولاية غرداية) كان من المثقفين المولعين بالصحافة العربية، زاول تعليمه بالجامع الأعظم بالعاصمة، ولد عام 1930 وتوفي ببوفاريك خلال الثلاثينيات.

[5] محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 ص:47. أنظر الملحق رقم: 6.

وبعد بروز جريدة النجاح[2] وقد صدر عددها الأول 12 أوت 1920 بالجزائر العاصمة، في أربع صفحات ومقاس 45×30 [3]، وقد أسسها التاجر السيد محمد بن باكير وأسند رآسة تحريرها في البداية إلى الصحفي القدير عمر بن قدور الجزائري صاحب جريدة (الفاروق)[4] واضطلع بإصدار ستة أعداد ثم غادرها بعد خلاف بينه وبين السيد محمد بن باكير مالك الجريدة، وبداية من العدد السابع الصادر بتاريخ 25 أكتوبر،1920 تولى رئاسة تحرير جريدة الصديق الشيخ مولود بن محمد الزّريبي الأزهري [5].

وبعده مباشرة تولى زمام أمورها الشيخ أحمد بن العابد العقبي، قبل أن ينشئ جريدته (صدى الصحراء)[6] أما صاحب امتيازها فكان السيد محمد بن باكير، وكانت تطبع بمطبعة (كيزاتشو) الايطالية

ثم ارتأت إدارة الجريدة أن تتولى هذه المهمة مطبعة (سرلال)[7]، وهي:" جريدة علمية أدبية سياسية اقتصادية"[8] اتخذت من نهج لالير عدد 7 بالجزائر العاصمة مقرا لها و قد سميت بالصديق تيمننا بالصحابي الجليل الخليفة الأول أبي بكر الصديق τ الذي امتاز برجاحة العقل، وبعد النظر، وعدم التسرع واعتماد

---

[1] عبد الملك مرتاض، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)**، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج2، ص: 109.

[2] جريدة النجاح: جريدة أسبوعية أصدرها الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي بقسنطينة في سنة 1919، وابتداء من 1930 تحولت إلى جريدة يومية، وتعد"النجاح" أطول الجرائد العربية عمرا، وهذا بسبب اتجاهها الذي يجعل المادية والرواج الجماهيري فوق كل اعتبار. سجلت غيابا من 1939 إلى 1945 لتستمر بعدها إلى سنة 1956. أنظر: محمد حمدان و بشير الهاشمي، **الموسوعة الصحفية العربية (تونس، الجزائر، الجماهيرية،المغرب، موريتانيا)**، د.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1995، ج4، ص: 78.

[3] فوزي مصمودي، **تاريخ الصحافة والصحفيين ...**، مرجع سابق، ص: 87.

[4] جريدة الفاروق: جريدة أسبوعية أصدرها "عمر بن قدور الجزائري" في فيفري 1913 بالجزائر وبعد عامين إلا شهرا صادرها المستعمر، عادت إلى الظهور مرة أخرى في أكتوبر 1920. وتوقفت نهائيا في سنة 1921، أنظر: زهير احدادن، **الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص: 30-31

[5] محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1932)**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، مج1، ص: 43.

[6] جريد صدى الصحراء: أسبوعية إصلاحية صدرت في ديسمبر 1925 ببسكرة، مديرها أحمد بن العابد العقبي، علي موسى بن عمار العقبي، كان شعارها "حب الوطن من الإيمان" ودعت إلى تطهير المعتقدات الدينية وإلى نشر اللغة العربية. أنظر: زهير إحدادن، ص: 40.

[7] زكرياء مفدي، **تاريخ الصحافة العربية بالجزائر**، جم وتح: حمدي أحمد، د.ط، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، د.ت، ص: 68.

[8] محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية...**، مرجع سابق، ص: 45.

الأناة مع اللين في معالجة المشكلات، لذلك امتازت (الصديق) بالاعتدال والبعد عن التطرف[1]، وقد جاءت هذه الجريدة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحث عن الأخلاق الفاضلة، دعوة الأمة إلى العمل والاجتهاد ومسايرة ركب العالم المتطور في سبيل غد أفضل، ولخصوصيتها وتميزها وبروزها في عهد قلّ فيه النشاط الصحفي العربي، فقد أطرها الشيخ محمد الهادي السنوسي الزّاهري في كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) حيث قال: " إنها – أي الصديق – أول جريدة دعت الناس إلى الحق وناضل عن الحق والمحق في ذلك مبطل في نظر المستبد، وليس لما يقضيه من مردّ ولما يقضي به معقّب"[2].

وقد انتعشت (الصديق) بعد أن تولى رئاسة تحريرها الأديب الشاعر والصحفي الكبير مولود الزّريبي بداية من 25 أكتوبر ،1920 بطلب من صاحبها[3]، " فانطلق بها في جد وحيوية واهتمام وصدرت في حلة جديدة تشُف عن ذوق صحافي متميز، أما المحتوى فكان أيضا يشُف عن عمق في النظر وأناقة في التعبير، وحكمة في المعالجة" [4]، وعرفت أزهى أيامها، لاسيما من خلال المقالات التي يكتبها في جريدة (الصديق)[5] ومن أهم المقالات التي نشرها في هذا المنبر مقال "الصحافة العربية في الجزائر"[6] حيث دعى إلى أن تكون الصحافة الوطنية وسيلة لنشر العربية في الجزائر التي طغت عليها اللغة الفرنسية حتى فقد الجزائريين جريدة تخاطبهم بلسانهم وتعمل لصالح قوميتهم، ومقالات في العلوم والمعارف والأخلاق، ويصف الأستاذ محمد الهادي السنوسي تلهف القارئ الجزائري للإطلاع على (الصديق) بصفة أسبوعية في قوله: "... فكنا ونحن تلامذة بقسنطينة وليس في الوطن غيرها صحيفة نتسابق البريد إليها في كل أسبوع ونتتبعها بدقة ما أن عليها من مزيد فكانت لنا أول صحيفة عرفنا فيها ميزات الصحافة ومقتضياتها"[7]، ورغم اعتدالها ووسطيتها إلا أنها تعرضت للمتابعة القضائية، كما أهين المشرفون عليها، وتعرضوا للاستنطاق والبحث، حتى أن الشرطة الفرنسية كانت تضايق الزريبي وهو يكتب مقالاته للصحيفة، ومن ذلك أن إدارة (الصديق) تعرضت في عهد الشيخ الزّريبي للمداهمة والتفتيش الذي جاوز حدود الأدب، من كسر لقفل بيت المدير السيد محمد بن باكير

---

(1) عمر راسم وعمر بن قدور، **أعلام الصحافة الجزائرية**، تق: احدادن زهير، د.ط، دار احدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج2، ص: 13.

(2) محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 98.

(3) زهير احدادن، مرجع سابق، ص: 35.

(4) محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 93 .

(5) محمد حمدان وبشير الهاشمي، مرجع سابق، ص: 78.

(6) فوزي مصمودي، **تاريخ الصحافة والصحفيين...**، مرجع سابق، ص: 90.

(7) محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 102.

وتفتيش دار رئيس التحرير الشيخ الزّريبي من غير حضوره، مع أخذ العديد من الوثائق والأوراق الإدارية المهمة [1].

ولم يلتزم الشيخ الزريبي الصمت أمام هذه الحادثة الأليمة ولم يخش زبانية الاحتلال مادام واثقا من نبالة مقصده وسمو رسالته حيث كتب "مقالا وصفيا صور فيه هذا التعدي بالتفصيل ومقاله هذا كتبه بلهجة حادة فيها تعريض وتهكم واستهزاء بالبوليس الاستعماري" [2].

ويقول الأستاذ الهادي السنوسي وهو يصف هذه الصحيفة بعد أن تولى تحريرها الأستاذ الزّريبي ويصف ما قاصاه من المعاناة من جراءها:

" ولعلنا اليوم لا نبقي على رأينا فيها إذا ما راجعنا أعدادها، والإنسان يختلف رأيه بتعاقب صبحه ومسَاه، بيد أن هناك أمرا ثابتا يجب أن نثبت عليه ومعه ما دمنا على علم من أن المتقدم إلى مثل ذلك المشروع كالمتقدم بما له إلى الإفلاس أو بأيام حياته إلى التلف فيما لا جدوى فيه، وهو أنها أول جريدة دعت الناس إلى الحق وناضلت عن الحق، والمحق في ذلك مبطل في نظر المستبد وليس لما يقضيه من مرد، ولما يقضي به من معقب، ولو علمت ما للبوليس من هجمات على المترجم في مكتبه وهو يحرر بعض المقالات لعلمت مقدار ما يقاسيه الصحفي في ذلك الوقت الرهيب، وحتى في هذا الوقت مع فرق يسير، ولولا ما للمترجم من ثبات جاش لخارت قواه، ولكنه ثابر إلى حد لم يبق عند بلوغه من أمل انسلخ من تحرير الجريدة "[3].

بعدها لم تجد (الصديق)[4] بدًا من التوقف في 27 مارس 1922، في عهد رئيس تحريرها أحمد بن العابد العقبي الذي خلف الشيخ مولود الزّريبي، الذي حوّل وجهته شطر الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة، لكن هذه الصحيفة لم تعمر طويلا بعدما صدر منها 54 عدد، حيث توجد مجموعتها كاملة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: ج.و.261-193 ونسخة مصورة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، كما تتوفر بالمكتبة التونسية بعض الأعداد من هذه الجريدة[5].

ودور الزريبي واضحا في مجال الصحافة فقد سمحت له أن يبسط أفكاره التي جاءت في شعره وفي بعض مؤلفاته ولا سيما حملته على بعض الطرق الصوفية وشيوخه الخرافيين، في نظره، وقد كان الزريبي في

---

[1] فوزي مصمودي، **تاريخ الصحافة والصحفيين...**، مرجع سابق، ص: 92.

[2] نفسه، ص: 92.

[3] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 160 .

[4] فيليب الفيكونت دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، د.ط، بيروت (لبنان)، 1891، ص: 262.

[5] فوزي مصمودي، **تاريخ الصحافة والصحفيين...**، مرجع سابق، ص: 92.

هذه الحملة مقدمة هامة للشيخ الطيب العقبي الذي شدّد النكير في ذلك أيضا خلال العشرينيات وإلى منتصف الثلاثينيات حتى انتهى الأمر بالعقبي إلى الاعتقال والسجن[1].

ولكن الشيخ مولود الزّريبي لم ينته إلى نفس مصير الطيب العقبي فبعد العمل بجريدة الصديق فترة، وتوقفها قد تكون للأسباب مالية، لم يواصل عمله في الصحافة، ولكننا وجدناه قد تولى التدريس في الجامع الكبير(العربية والتفسير الحديث)[2]، فانتصب فيه لتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم وفنون اللغة العربية المختلفة، وكانت حلقة دروسه تكتظ بالحاضرين وخاصة في درس التفسير والموطأ للإمام مالك.

ومن هنا أصبح اسم الشيخ على ألسنة الناس هنا وهناك، إعجابا به وتقديرا، واعترافا بفضله عليهم. ثم أصبح إماما خطيبا بمسجد بوفاريك[3] سنة 1925، التي تبعد عن العاصمة بسبعة وثلاثين ميلا في الطريق إلى البليدة، فأصبحت له مكانة كبيرة بين أهاليها لعمله وجهاده الإصلاحي، وكان الناس يوم الجمعة بالخصوص يتسابقوا إليه من كل مكان لينتفعوا بخطبه البليغة الهادفة، ومواعظه الغالية المفيدة، وتوجيهاته الحكيمة البناءة، وكان يعمل من أجل أن يستيقظ هممهم ويشحذ عزائمهم ويعبئهم تعبئة روحية وأخلاقية حتى يكونوا صناع خير في مستوى الإسلام دين الحرية، والكرامة دين العلم والعمل[4].

- **الأساليب الإصلاحية لمولود الزّريبي:**

من أساليب الإصلاح التي اتبعها الزّريبي، أنه كان يثير مسائل جدلية في الصحافة دون أن يوجهها إلى أحد بعينه وإنما كان يتركها تعوم في الأذهان إلى أن تعمل عملها ويكثر التساؤل حولها، ومن المسائل التي أثارها في صحيفة كوكب افريقية قراءة القرآن بصوت عال، والأذكار في المساجد، ورفع الأصوات في الجنائز، وقد أكد مولود الزّريبي أن له قصائد كثيرة في موضوع الدعوة إلى العلم والنهي عن البدع وجاء في قصيدة (زفرات العشي) التي تبلغ السبعين بيتا:

كأني بزفرات العشي موكلّ وفي الكوكب الإفريقي أبدى دواها[5]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب**...، مرجع سابق، ص: 178.

[2] لم تتكلم المصادر التاريخية عن توظيف الزريبي عن المسجدين(باتنة، العاصمة) رسميا، أي يتقاضى عليه راتبا من إدارة الشؤون الأهلية الفرنسية، أم كان إماما حرا أو متطوعا. ولكن الأكيد أنه موظف متطوعا، لأنه لو دخل فعلا السلك الرسمي فإن نبرة صوته ستلين وقوة نقده ستضعف، وهذا نجده عند عدد قليل من أهل الفكر والإصلاح.

[3] بوفاريك: حاليا هي مدينة تقع غرب عاصمة الجزائر في سهل المتيجة وهي من المناطق التي تم احتلالها من طرف الفرنسيين في بداية احتلالها للجزائر. تعرف بخصوبة أراضيها الزراعية والفلاحية.

[4] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 161.

[5] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 62.

وفي هذه القصيدة ذكر الشاعر أنه غيور على الدين ومناهض للبدع وأنه يفتخر بنفسه لأنه من العلماء الأعلام وبرحلاته شرقا وغربا، وتمنى أن يقتدي به قومه في العلم[1] ومن قصائد الزّريبي الجيّدة في هذا المجال التي سمّاها (نظرات أو عبارات في النفس والعقل والعلم والجهل) وقد نشرها في كوكب إفريقية أيضا، وهو فيها يخاطب قومه النائمين ولا يهاجم الغرب ولا يتداخل في السياسة، كما فعل بن قدور، ولو هاجم الزّريبي الغرب وتداخل في السياسة لما نشرت له الجريدة شعره ولاضطر إما إلى نشره خارج الجزائر وإمّا إلى السكوت، ولكن الزّريبي لفّ شعره بالدعوة إلى العلم، وهي دعوة أصبحت مقبولة عندئذ من الفرنسيين، لأنها تبدوا دعوة محايدة سياسيا وفي مطلع هذه القصيدة يقول:

يا بدر مالك بالأنحاء تفتخر ألم تكن بطلوع الشمس تستتر[2]

ولعل الفرق بين بن قدور والزّريبي أن هذا ثائر اجتماعي وبن قدور ثائر سياسي وكأن شعرهما معا يمثل مرحلة جديدة في تطور الحركة الشعرية من التقليد إلى التجديد، في الموضوعات والقوالب والروح والصور[3].

لا نقول بأن الشيخ الزّريبي أول من هاجم الوضع الاجتماعي المتردي في الجزائر، فقد سبقه إلى، إلى ذلك "الشيخ بن الموهوب"[4] وهو معاصر له و"حمدان الونيسي"[5]، والشيخ "محمد بن يوسف أطفيش" الذي توفي سنة 1913 في الفترة التي رجع فيها الشيخ الزّريبي إلى الجزائر، بالإضافة إلى ذلك نجد "محمد بن المصطفى (الكمال)" و"عبد الحليم بن سماية"[1] الذين قادوا المدرسة العبدوية منذ أوائل القرن.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ج8، ص: 257.

[2] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص: 27.

[3] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، مرجع سابق، ج8، ص ص: 257-258.

[4] ولد عام 1966 من قسنطينة عالم وشاعر إصلاحي، تتلمذ فترة طويلة على يد الشيخ عبد القادر المجاوي حتى أجازه في كل الفنون العربية والمنطق والفقه، عمل بالتدريس في العاصمة واسهم مع غيره في تأسيس نادي صالح باي الثقافي حوالي 1908 كما شغل منصب الإفتاء بقسنطينة، كان خطيب فصيحا إلى جانب كومن أديبا وشاعرًا. ثقافته مزدوجة. أنظر: عبد الله ركيبي، ص: 172.

[5] العلامة المدرس الفقيه المصلح حمدان بن أحمد الونيسي من علماء قسنطينة بالجزائر، لا يُعرف الكثير عن نشأته الأولى وتكوينه. عين مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة في يناير 1881 م، أين كان يدرس النحو والحساب والأدب العربي والفقه والتوحيد. هاجر حمدان الونيسي إلى الحجاز، و استقر بالمدينة المنورة، و ظل مدرسا للحديث النبوي بها إلى حين وفاته. من مؤلفاته وهي: القول الحنيف في الرد على من أجاز الفتوى بالقول الضعيف.

خامسا: تلامذة مولود الزّريبي:

لقد تخرج على يدي الشيخ مولود الزريبي علماء وأدباء وشعراء، كانت لهم إسهامات مشكورة في إرساء الثقافة بالجزائر، واعترفوا له بالفضل وكانت لهم مكانتهم الاجتماعية والثقافية، ومنهم الشاعر الأديب الأستاذ "محمد العلمي"[2] الذي يقول عنه:

((من حسن الصدف أن وافى الجزائر العلامة الأبر الأستاذ مولود الزّريبي فلزمته في دروسه التي كان يلقيها بالمسجد الأعظم، وعلى هذا الأستاذ أخذت ما عنده من شعر ونثر، وعلى يديه تدرجت في سبيلهما فهو إذا ولي نعمتي فيهما، وله وحده الفضل والمزية ولا أنسى له التّنشيطات التي كان ينشطُني بها وقوله وهو يلقبني " يا شاعر العصر" حقق الله رجاءه فّي وإذا كان لغيري أساتذة اخذوا عنهم ما يفاخرون به من العلم والفن، فإن أستاذي الوحيد هو: العلامة الأستاذ المولود الزّريبي)). وقد وفي لأستاذه فكتب عنه مقالا عند وفاته نشره بجريدة " النجاح " عدد 250 سنة 1925 م.

كما أن المؤرخ "عبد الرحمان الجيلالي" صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام، كان من تلاميذ الزّريبي وربما جلس إلى درسه في الجامع الكبير بالعاصمة، ولا شك أن هناك آخرين تتلمذوا على يده في الجامع، أو في الصحافة والفكر[3]

فقد قال الهادي السنوسي ((أنهم وهم تلاميذ في قسنطينة كانوا يقرؤون مقالات الزّريبي، في جريدة الصديق ويتأثرون بها وهي أول جريدة في نظره، دعت الناس إلى الحق وطالبت عن الحق))[4]. وممن درسوا على يده أيضا من طلبة الجزائر الأساتذة "الشيخ الشرفاوي"[5] والشيخ "المولود الحافظي"[1] و"الشيخ العربي التبسي"[2].

---

[1] عالم دين وشاعر جزائري ولد سنة 1866م وتوفي سنة 1933م كان من اشد الناقمين على الاستعمار الفرنسي عمل صحفيا في عدد من الصحف الجزائرية والتونسية له عدة كتب في الفقه والفلسفة والتصوف لكنها كلها مفقودة، أصيب بالجنون في آخر أيامه. أحمد توفيق المدني أنه لقيه على هيئته هذه وهو على فرسه فطلب منه أن يعلمه شيئا من علم المنطق. أنظر: مسعود كواتي، ص ص: 17-18.

[2] ولد عام 1896، قرأ المتون في الجزائر ثم توجه إلى المغرب حيث أكمل دراسته وعاد إلى الجزائر ليعمل في تجليد الكتب ويبيعها شاعر تقليدي نظم في موضوعات متعددة خاصة ما يتصل منها بالفكر الإصلاحي وبالمجتمع بوجه عام.

[1] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص ص: 179-180.

[4] نفسه، ص: 96.

[5] هو محمد الرزقي بن محمد علي، ينحدر من عائلة ابن القاضي التي كانت تحكم إمارة كوكو بجبال جرجرة. ولد سنة 1302هـ/1880م بقرية "شرفاء بهلول" التي ينسب إليها، و هي قرية تقع على بعد ثلاثة أميال من مدينة عزازقة، ولاية تيزي وزو، وهي قرية الولي الصالح "بهلول بن عاصم"، و بها زاوية عامرة تنسب إلى هذا الولي، تعنى بتحفيظ القرآن الكريم و

سادسا: أشعاره:

الواقع أن الذي يقرأ بعض شعر الزريبي قد يعتبره أول من نظم الأناشيد الوطنية التي أصبحت معروفة عند الشعراء بعد ذلك، ولعله قد تأثر في هذه الأناشيد السياسية الوطنية بشعراء مصر الذين تغنّوا بمجدها ضد الاستعمار الانجليز ومساندة للحزب الوطني على عهد مصطفى كامل ومحمد فريد.

ففي نظم الشاعر مولود الزريبي النشيد الوطني الذي ألهب الحماس ونادى بتجديد الشرق ونوّها بتقدم الغرب ودعا إلى النهوض وتقليد الأجداد.

تدريس الفقه و علوم اللسان درس الشيخ الشرفاوي على يد ثلة من علماء الأزهر، وقد تأثر الإمام الفقيه العالم الموسوعي بالشيخ محمد بخيت المطيعي الذي كان يلقب بالأستاذ الأكبر، وفي يوم الأربعاء في 11 محرم 1364هـ شيعت جنازته بحضور العلماء والأعيان والطلبة وجمهور كبير من مختلف الشرائح بمسقط رأسه بشرفاء بهلول.

(1) ولد سنة 1880م في قرية" **بني حافظ** "(دائرة بني ورتلان ولاية سطيف) هناك شب و ترعرع، و ما إن بلغ سن التمييز حتى دخل الكُتّاب، فحفظ القرآن الكريم مبكرا، ثم دخل المدرسة لتعلم اللغة الفرنسية، و في مدة وجيزة، اكتسب الشيخ الحافظي مبادئ اللغة العربية و الفقه والحساب على يد أهل العلم و الثقافة بالمنطقة. انتقل الحافظي إلى رحمة الله فجر يوم الثلاثاء 23 ربيع الأول 1367هـ الموافق لـ: 08 فبراير 1948م، و شيعت جنازته بعد زوال يوم الأربعاء في موكب مهيب شهده الآلاف ممن سالت بهم الطرق من مختلف المناطق ليشهدوا جنازة الأخ و الإمام و العالم، و دفن بمسقط رأسه ببني حافظ.

(2) أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر، وأمين عام جمعية العلماء والمجاهد البارز الذي خطفته يد التعصب والغدر الفرنسية عام 1957 ولم يُسمع له ذِكر بعدها. وُلد الشيخ العربي عام 1895 في بلدة (ايسطح) من أعمال (تبسة) التابعة لقسنطينة. حفظ القرآن في قريته ثم انتقل إلى تونس لتلقي العلم في زاوية (الشيخ مصطفى بن عزوز)، انتقل بعدها إلى جامع الزيتونة فنال منه شهادة الأهلة. عاد إلى الجزائر عام 1927 واتخذ من تبسة مركزاً له وفي مسجد صغير في قلب المدينة انطلق الشيخ في دروسه التعليمية لإنقاذ هذا الشعب من الجهل وذل الاستعمار، وفي 17 من أفريل عام 1957 قتله الاستعمار.

فإذا كان "سعد الدين الخمّار"[1] قد استعمل الرمز في تغزله السياسي، وعمر بن قدور قد خاطب الأمة الإسلامية عموما، فإن الزريبي قد خاطب (الجزائر) وأبنائها مباشرة واستعمل كلمة (الوطن) بالمصطلح السياسي الواضح[2]:

النشيد الوطني[3] (مجزوء الكامل)

هيَّا بنَـا أهْلَ الوَطَـنْ نحو الرُّقَـي كمـنْ، وَمن
فَمَتَى ونحنُ بذَا الوسَـنْ لَسْنَـا نُحُـرِكُ سَاكِنَـا
بَزغَتْ شُمُوس العلمِ فِـي كُلَّ الوَرَى، لاَ تَختَفِـي
أَنكُـونُ ذيْـلَ تَخَلُّـفٍ أَشْقَـى الـوَرَى في حَظِنا!
يَا قوْمُ إنَّ الجُنْنَ مَـوْتْ في كُلَ خَطْبٍ، هُوَ فـوْتْ
ُبْدِي نَسيـجَ العنكبُـوتْ في طيّـهِ سُمْرُ القَنَـا
َبَنِـي الجزائـر، آنَ...آنْ أنْ تَرْتَقُـوا أسمَى مَكـانْ
وتناصـبوا هذا الزمـان في ذا الشقـاء، وذا العنـا
أنتُم قَلائِد للعُصُـورْ أنتمْ مصـادِرَ للبُـرُورْ
أنتـمْ طلعتُمْ كَالبُـدُورْ فَخُـذُوا المعَارفَ ديْدَنَـا [4]
أسلافكُمْ قـدْ وَدَعُـوا فخَـلاَ بذاكَ المَرْبَـعُ
فَاقْفُوا السَّبِيلَ وَطَالِعُوا تارِيـخَ أسْـلافٍ لَنَـا
لهُمْ مآثـرُ أبدِعَتتْ عن حُسن صُنعٍ أحكِمـتْ
ومدارِس قـد شيِّـدَتْ أطْلاَلُهَـا مـن بينِنَـا

---

[1] ولد في مدينة بسكرة عام 1885م، عاش في الجزائر وفرنسا ، حفظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى اللغة الفرنسية، التي درسها حتى أتقنها، تخرج من زاوية طولقة ، اشتغل بالتجارة والتدريس والصحافة باللغتين، كان من رجال الحركة الإصلاحية ، كان من أشد المعارضين للتجنيد الإجباري للجزائريين، وجوهرة شعره التغزل السياسي، توفي عام 1956م.

[2] أبو القاسم سعد الله، **خارج السرب**...، مرجع سابق، ص: 179.

[3] هذا هو النشيد الحيّ اليوم في الكتاتيب العصرية الحيّة، وهو المعمول به فيها، وقلها، وقلّما تجد تلميذا في سنيّ قراءته الأولى لم يُجد حفظه، وترجيعه سيما في كتاتيب قسنطينة، ويظهر أن الفقيد أنشأه باقتراح أحد الأدباء بالعاصمة، وللأناشيد في الأمم شأن يذكر، فهي الوتر الذي يهيّج به وطنية الوطني، وهي المزمار الذي تخشع له النفوس، وترفض له الألباب، وهي تحمل الجندي على اقتحام الموت الأحمر في يوم الهول الأكبر تفانيا في الدّفاع عن الشرف والحَوْزة. أنظر: محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 163.

[4] الديدن: الدأب والعادة.

كم بَيْنَنا حصْنٌ مَتِينْ قد خُطَّ بالجَبينْ
تمثالُ مجدِكُمُ المُبينْ لا زالَ يُفنِي أزمنا
هل من وجُوهٍ عابسةْ تبكِي الطُلولَ[1] الدَارسة

أيا وطني (الطويل)

أيَا وطني لم آل جهدًا وإنما رأيت زمانك آتِيا[2]
فكم نصب لي في هواك وما انثنى ضميري، وقد أبديت نفسا عصاميا
فكنت أحاكي في سبيلي نافخا رماد فدائي قد أتى من دوائيا
فها نصرائي تاركي بِمَعْمَعِ وها وبنائي قد بدوا لي أفاعيا
صفَا الجوُّ عن جيش المسرة مقبلا وأدبر جيش الهم بعد عنائيا
وما ذاك من وهم الخيال، وإنما سيضرب عنق اليأس سيف رجائيا
وتقرع آذانا تموج رنتي فيسمع حتى الصم قرع ندائيتا
أما بلى المستعفون بفترة وقد يئسوا مجدا، وحقا ورائيا
ولما رياح الحرب فيهم عصفت أثارت سحاب الفكر فأنهل هاميا
فأمطرت الأفكار من حيث تمطر القنابل، والفولاذ ينزل ناريا[3]
فدبرت جميع الناهقين وضمدت جروحا تمادى الدّهر عنها دواميا
ولكن يسير الداء قد نجع الدّوا وأضحك عز العلم قوما بواكيا
ونحن غيوم الجهل، ما خطه على فلسنا نرى ضوء نريده بادا
وللوطن المسكين أحلام نائم باديا من الآء قد منوه تلك الأمانيا
وخط يراع الجهل، ما خطه على صحائفه السوداء تحكي اللّياليا
فكم قائل: داعي الرقي جرائد وكم قائل أن نستجيد النواديا[1]

---

[1] الطول أو الأطلال.أنظر: محمد الهادي السنوسي الزّاهري، ص: 163. أنظر الملحق رقم: 8.

[2] للفقيد قصائد جمة لم نظفر منها إلا هاتين القصيدتين، وهذه القصيدة هي آخر ما نظمه ولم تطُل أيامه بعدها حتى وافاه الأجل المحتوم، ولقد نشرتها (جريدة النجاح) في عددها 24 الصادرة في 18 جانفي 1924م وتضمنت 63 بيتا. وفي بعض أبيات من القصيدة ضعف لا يخفى على عار في العربية وذوي الذَّوق في الأدب، ولعلّه من المصففين أو من النّاسخ لأول مرّة، وما آفة الأخبار إلاّ رُواتها

[3] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص: 169.

زفرات العشي:

كأني بزفرات العشي موكل وفي الكوكب الإفريقي ابدي دواها
إذا دهمتني النوايب برهة رفعت له الشكوى فأمسى مساها
سيخضع أهل السوء من كل منكب فسيف يراعي كم أباد جباها
واني بحكم في ذوي الحلم عاكف شديد عقاب إذا لاقى سواها
فأنت تراني تارة إزعاج الملا وحينا كما الخنساء ترثى أخاها
أقول وأهل الحي مني بمسمع واغرق عيني في بحار بكاها
أعوذ برب العرش من فئة طغت وما برحت في غيها وعماها
قد طفت في البلدا شرقا ومغربا وسارت ركابي واستطال سرها
وبالأزهر المعمور راحلتي ثوب وآنست مصرا فالنفوس فداها
سرت بعد عز في غيابات جهلها سل الرسم والأطلال عما عراها
يا ليت قومي يعملون بما أرى وللروضة الغناء ترنو قراها
وما المرشد المولود يبغي بلابلا بلى يرتجي في العالمين رضاها[2]

لتبنيك عما قبل نوح وبعده نواحياها بل أفلاكها وسماها
إذا اهتز أهل العلم علما وأطربوا وكان عكاض بالورى يتباهى
على سالف الإعصار إذ سار أهلها بكت أرضا حتى بكى قمراها
قضى الله عنها والقضاء محتم فما سعدت نفس ورق نهاها
قضى الله عنها بالملاهي ونهجها فما أعشوشت أرض وبل ثراها[3]

---

[1] الجرائد هي الداعي الوحيد للحياة، وهي الواعظ المرشد إذا ما صدقت في أهميتها، وسلكت طريقا وسطا وهي النذير البشير، وهي المرآة التي تتجلى فيها للأمم كوامن دائها.

[2] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص ص: 62-63 .

[3] مولود الزّريبي، مصدر سابق، ص ص: 63-64.

نظرات أو عبرات في النفس والعقل والعلم والجهل:

يا بدر مالك بالأنحـاء تفتخر ألم تكن بطلوع الشمس تستتر
الشمس تطلع في النهار أجمعه وأنت في غالب الليالي تنتظر
يا جامع البدر كل طالـع لمعنا وطالـع يا يبقـى ولا يـذر
يا قوم ما لي أراكم في جهالتكم كقوم موسى طغو فهالهم صغر
والعقل تصلحه العلوم والحكم وليس تصلحه والآصال والبكر
إلى ذرى المجد ترتقي النفوس بـه ودون ذاك مراتب لا تنحـصر
يبصر المرئ في الأمور مطلعا حتى يرى العلم هو الكوكب النير
والساري في الجهل كالساري يذي نفق ففاتـه الأزهر أن الشمس والقمر
والجهل صاحبـه دومـا لا يستره كصاحب الليث قد ينوبه الضرر
إذا تولـى عليـه أبدى سلطتـه فكـان في كل ما يختار لا عكر
سبحـان من جعل الإنسان مختلف هذا عليم وذا بالجهل يستتر
وهذه عبـارات كنت أسكبهـا أذاعها قـالب الأنظـار والخبر
لازلت أنشدكم في خدمة الوطن كفى شهيدا عليّ الصحف والطرر
إن عشت يشهدوا لي القرطاس والقلم وإن أنا مت فالتـاريخ والعبـر[1]

سابعا: وفاته

ظل مولود الزّريبي على جهاده في ميدان التربية والتثقيف والإصلاح، راضيا بميسور الغذاء مستصغرًا لمظاهر الدنيا، محتقرا لمناعم الحياة، قانعا بجبة واحدة للكساء، متحملا الحرمات من الأهل والعشيرة، ولكنه غير راض بالقليل من العمل والسهر، بل كان على الدوام طاقة حية يقظة تتفجر نشاطا، وتصنع أعمالا جليلة[2].

[1] نفسه، ص ص: 26-27.

[2] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 80.

هكذا ظل العلامة مولود الزّريبي حتى أصابه مرض قد يكون من جراء هذه الحياة الشاقة المرهقة، التي تواصلت منذ الطفولة بلا راحة، فتعاقب على معالجته الأطباء ولكن بلا جدوى، فالأجل إذا انتهى عجز الطب وذهبت كل الحيل إدراج الرياح، وهكذا فاضت روحه وصعدت إلى الملا الأعلى تحدوها الملائكة بكلمة السماء: "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"[1] وكان ذلك سنة 1925م[2]. وهنا عبرة يجب الوقوف عندها قليلا، "وهو أن طول العمر وقصره لا يكون بالسنوات الكثيرة والقليلة وإنما طول العمر بالعمل، وقصره بقلة العمل أو انعدامه "!.

فأطول العمر من كثر عمله، وإن قصر أجله، وقصر العمر من قلة عمله وإن طال أجله، فالعلامة مولود الزّريبي لم يعش طويلا ومع ذلك حقق الكثير من آماله، وعمل ما عجز عن عمله الكثير ممن عاشوا أعمارا طويلة[3].

[1] سورة الفجر « الآية 30 »

[2] محمد حمدان، مرجع سابق، ص: 76 .

[3] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص: 81.

خاتمة

خاتمة:

خلصنا في هذا البحث إلى مجموعة من النتائج التي أسندت إلى تحليلها ومعالجتها وفق مجموعة من المصادر والمراجع لذا فهي رهينة بها وقائمة عليها.

إن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الزّاب الشرقي كانت تحت سيطرة الإدارة الاستعمارية، هذه الأخيرة التي عملت على تدعيم أبناء الزوايا والطرق الصوفية بإغرائهم بالأراضي الزراعية و تدعيمهم بفتح مشاريع فلاحية، أيضا فتحت لهم مدارس لتعليمهم لكن في حقيقة الأمر لترسيخ وبث اللغة الفرنسية، وغيرها من الخدمات الإغرائية التي ترغب من خلالها صد الحملة التعليمية الإصلاحية.

إذن فالأوضاع العامة في منطقة الزّاب الشرقي كانت تعاني من تخلف علمي وثقافي نتيجة انتشار الطرقية التي دعمها الاستعمار الفرنسي، بعدما كانت طرق صوفية مقاومة ومجاهدة للدين القويم.

رغم جميع الضغوطات الاستعمارية إلا أن سكان المنطقة شعروا بخطر الاستعمار الذي يحارب الدين والشريعة، فظهرت بوادر الحركة الإصلاحية التي أنجبت رجال مصلحين لم يتحملوا وجود أبناء منطقتهم في هذه الحالة الحرجة والبعيدة كل البعد عن الدين.

لعبت الحرب العالمية الأولى دورا نفيسا وقانونيا في تشجيع وبعث روح المقاومة، خاصة لدى النخبة التي انقلبت على الأيديولوجية الاستعمارية والتي هدفت المدرسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إلى غرسها فيها، وساهمت هذه الشخصية الإصلاحية في دعم الحركة الإصلاحية والصحفية بشكل واضح رغم نقاط الاختلاف المعروفة بين الطرفين.

رغم ما يبدوا وفي صورة قائمة رسمتها السياسة الاستعمارية في الزّاب الشرقي، إلا أن هذه المنطقة حافظت على نصيب كبير من هويتها، وظلت روح المحافظة والتمايز حية فيهما، فكان الزّاب الشرقي يحتوي على مجموعة من الزوايا مثل زاوية الهامل، زاوية نفطة وغيرها من الزوايا التي ساهمت مساهمة جدّ فاعلة في مقاومة سياسة التفتيت والتغلغل والمسح الفرنسي داخل المنطقة.

مساهمة المدارس التعليمية الإصلاحية في إبراز علماء مجددين مهدوا للإصلاح مثل: الأزهر الشريف بمصر وهو من خرجي شخصية العلامة مولود الزّريبي.

لقد انطلق الإصلاح الديني في الزّاب الشرقي، قبل العشرينيات واصطدم بالزوايا والطرق الصوفية والبدع السائدة، وعكست مجالس الوعظ والصحافة آنذاك هذه التصادمات، وظلت أسماء العديد من المصلحين تتكرر في المعارك الإصلاحية ضد البدع والطرقية، أمثال المصلح مولود الزّريبي في الزّاب الشرقي.

إذا كانت الحركة الإصلاحية التي قام بها مولود الزّريبي في منطقة زريبة الوادي فشل فيها فشلا ذريعا، في التغلغل والسيطرة على أبنائها، باعتبارهم كانوا تحت سيطرة الطرقية التي هي مدعمة من قبل الاستعمار الفرنسي، فإنه نجح في نشر دعوته الإصلاحية في الأوراس، التي رحبوا بها سكان القبائل والتقوا حوله وكانوا مواظبين في الحضور لجميع خطبه بكل لهفة و اشتياق.

العلامة مولود الزّريبي أثناء قيامه بالدعوة الإصلاحية في الزّاب الشرقي وجد أهلها متحالفين مع الإدارة الاستعمارية وبعض زعماء الطرقية والمنحرفين عن الدين، إذ وضعوا جدار أمام حربهم ضد البدع والخرافات، ويظهر هذا مع الشخصية البارزة في هذه المنطقة العلامة مولود الزّريبي المصلح والصحفي الكبير الذي تحدى جميع شيوخ الطرقية المدعمة من قبل الاستعمار الفرنسي.

ظهور شخصية العلامة مولود الزريبي الواعية والمثقفة ثقافة عربية إسلامية بحتة، ساهمت في محاربة الجهل والأمية ونبذ البدع والخرافات ونشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، والذي حاول العمل بيد واحدة لجمع كلمة الشعب حول مبادئ الوطنية الصحيحة والدين القويم، والذي وقف في وجه الطرقية ، وتحمل كل المصاعب والانتقادات التي وجهت له بصدر رحب وصبر كبير.

لقد لعبت الصحافة كوسيلة إعلامية جدّ فاعلة، في نشر الدعوة الإصلاحية، حيث اتخذها الصحفي مولود الزّريبي وسيلة جد مهمة في نشر أفكاره الإصلاحية التعلمية أثناء توليه كمحرر لجريدة الصديق.

أيضا لقد قام الشاعر مولود الزريبي بنشر مجموعة من أشعاره في جريدة الصديق، والتي كانت في مجملها تدعوا إلى محاربة البدع والخرفات والتمسك بالدين القويم، فقد كان يكتب أشعارا يردّ من خلالها على بعض شعراء الطرقية، الذين يخفون أنفسهم وفق أسماء مستعارة، في نوع من المساجلات الشعرية، حتى أننا وجدنا شاعرنا مولود الزريبي في بعض الأحيان يردّ على خصمه بالشتم لدرجة احتدام الصراع بينهما .

من الطبيعي أن تواجه الحركة الإصلاحية والصحفية التي تعمل على نشر الوعي الثقافي والتمسك، بما شرعه الله تعالى، هجمات الاستعمار الفرنسي وصراع من قبل شيوخ الزوايا والطرق الصوفية الذين كانوا مفترين ومتحالفين ومتمسكين بمبادئ الإدارة الاستعمارية.

تعرض العلامة مولود الزّريبي إلى هجمات الاستعمار الفرنسي، لما كان ينشره من أفكار إصلاحية في جريدة الصديق، هذه الأخيرة التي قاموا بحلها ولم تدم طويلا.

رغم العمر القصير للشيخ العلامة مولود الزّريبي إلا أنه استطاع أن يوصل أفكاره الإصلاحية للناس من خلال خطبه و ملتقياته و عن طريق الصحافة.

هكذا يمكن القول أن صوت الزّريبي لم يذهب هدرا، فقد واصله الشيخ العقبى ورجال جمعية العلماء، ولكن الفضل يظل دائما للرواد.

فقد تحمل الزّريبي في سبيل دعوته عنتا وصدا، لأنها كانت دعوة فردية لم تسندها صحيفة دائمة ولا هيئة ناطقة ولم يخطط لها لكي تؤتى ثمارها بعد حين، وإنما كان صاحبها متعجلا غاضبا، يود تغيّير وإصلاح ما هو فاسد، وما هو راسخ في أذهان تلك المجتمعات الراكدة.

ولهذا نجده قد إظطر إلى استعمال أسلوب العنف، الذي كان الأسلوب الجد فاعل لدى ذلك المجتمع العنيد التعس الذي لا يؤمن إلا بالخرافات والبدع.

وربما كان لعمره القصير دور في عدم نضج دعوته وبلوغها أهدافها فقد توفي وهو في ربيع عمره.

وختاما نسأل الله سداد الرأي والرؤية والحمد له وحده أولا وأخيرا.

ملاحق

الخرائط والجداول

ملحق رقم: 1.

الزاب الشرقي[1]

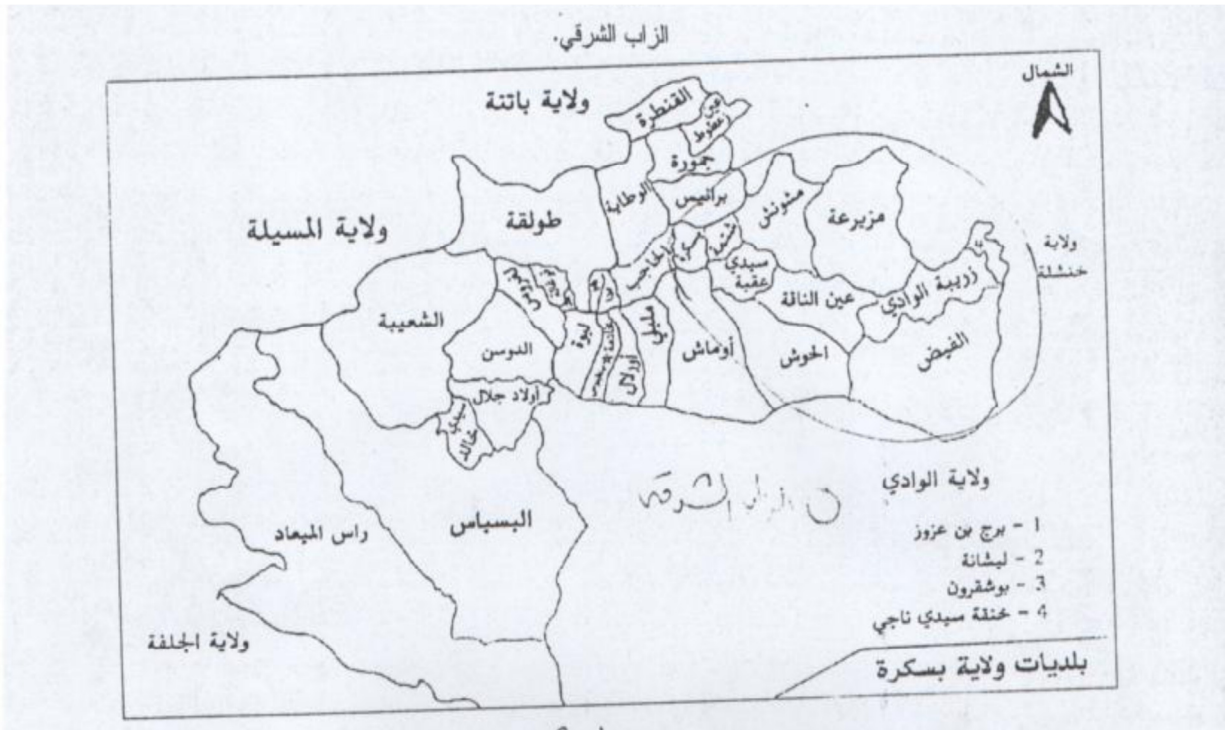

الزاب الشرقي[2]

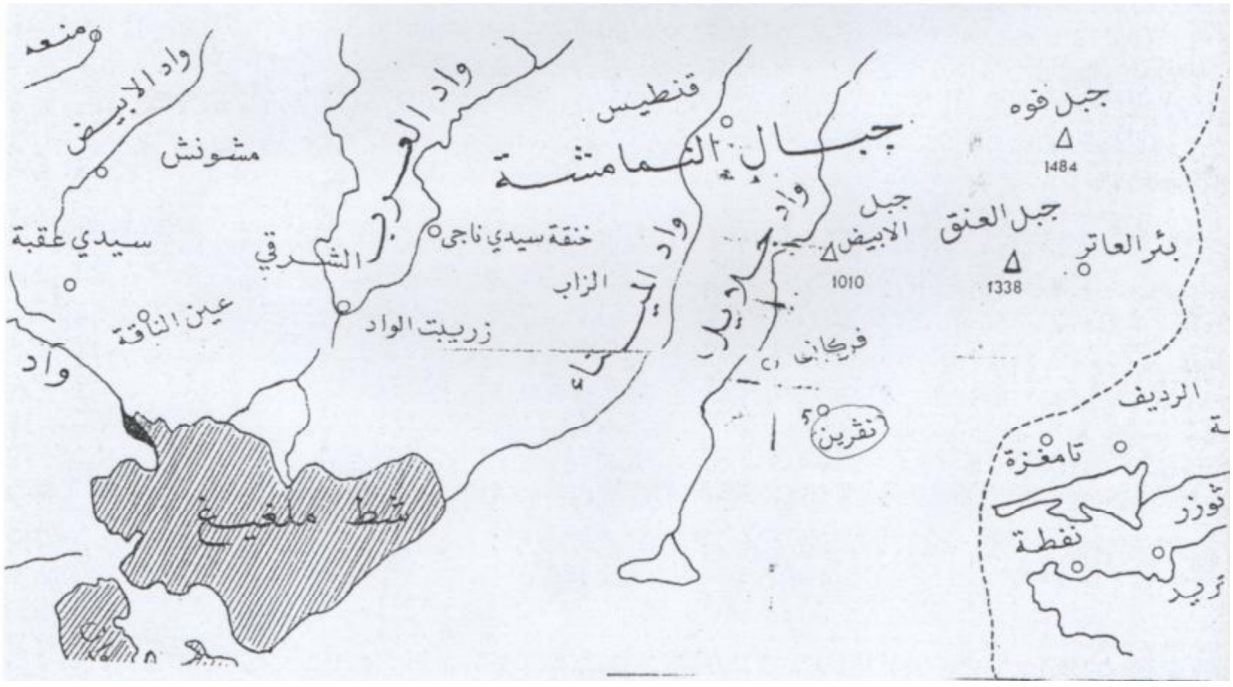

[1] فوزي مصمودي، **العلامة الموسوعي عبد الرحمان الاخضري**، مرجع سابق، ص:29.

[2] يحي بوعزيز، **ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحداد**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص: 156.

ملحق رقم: 2.

جدول إحصائي يوضح عدد النخيل في الزّاب الشرقي لعام 1858م[1]

المدن	عدد النخيل
واحة الدروع	4000 نخلة
واحة سيدي عقبة	66000 نخلة
بلدة خيران	300 نخلة
الولجة	16000 نخلة
خنقة سيدي ناجي	28000 نخلة
ليانة	7000 نخلة لم يبقى منها إلا 1700 نخلة بسبب الصراع على الماء
لقصر، بادس، زريبة حامد، زريبة الوادي	1200 نخلة
شبلة	100 نخلة
سيدي مصمودي	3000 نخلة

[2] عباس كحول، مرجع سابق، ص: 10.

الصور

ملحق رقم: 3.

مسجد أخذ اسم الشيخ مولو د الزّريبي بزريبة الوادي[1]

ملحق رقم: 4.

الصورة الشخصية للشيخ العلامة مولود الزّريبي

[1] محمد العلمي، فقيد العلم والعمل العلامة الشيخ مولود الزّريبي الأزهري، WWW.wadilarab.kalamfikalam.com يوم الأربعاء 2013/05/08 على الساعة 09:30

ملحق رقم: 5.

كتاب بدور الأفهام أو شموس الأحلام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام للفاضل العالم الشيخ مولود بن محمد الزّريبي البسكري

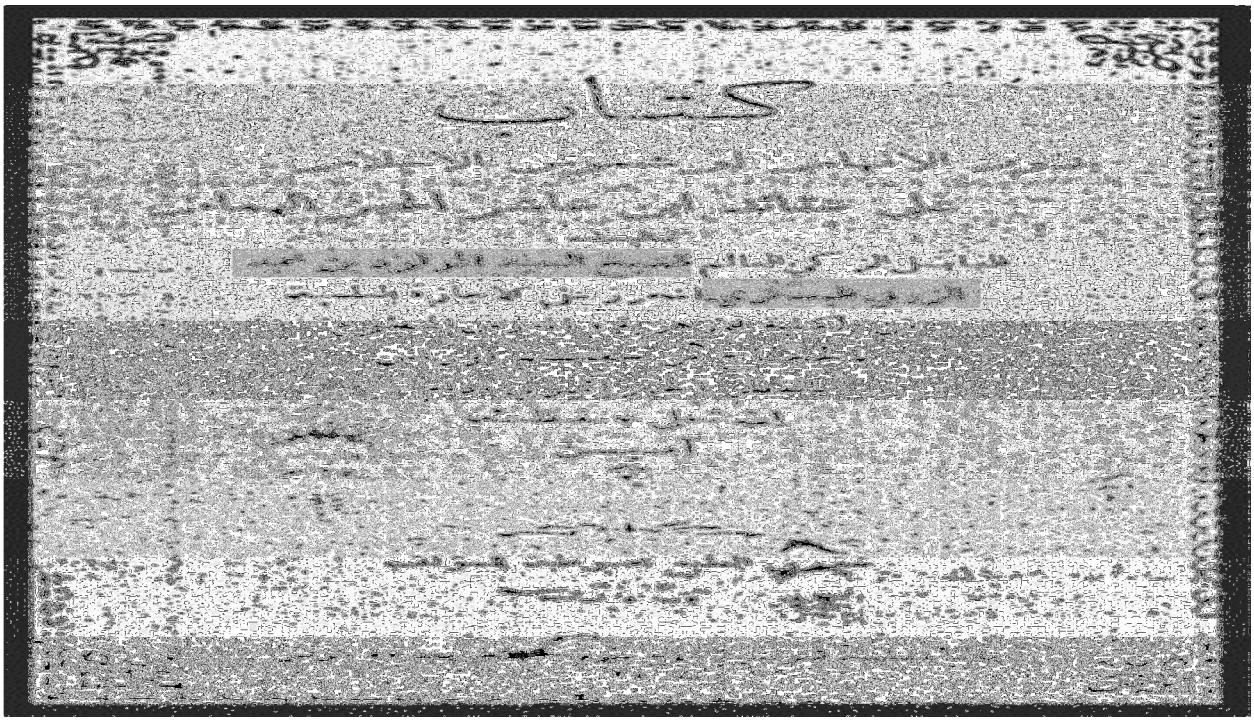

ملحق رقم: 6.

جريدة الصديق لمحررها مولود الزّريبي

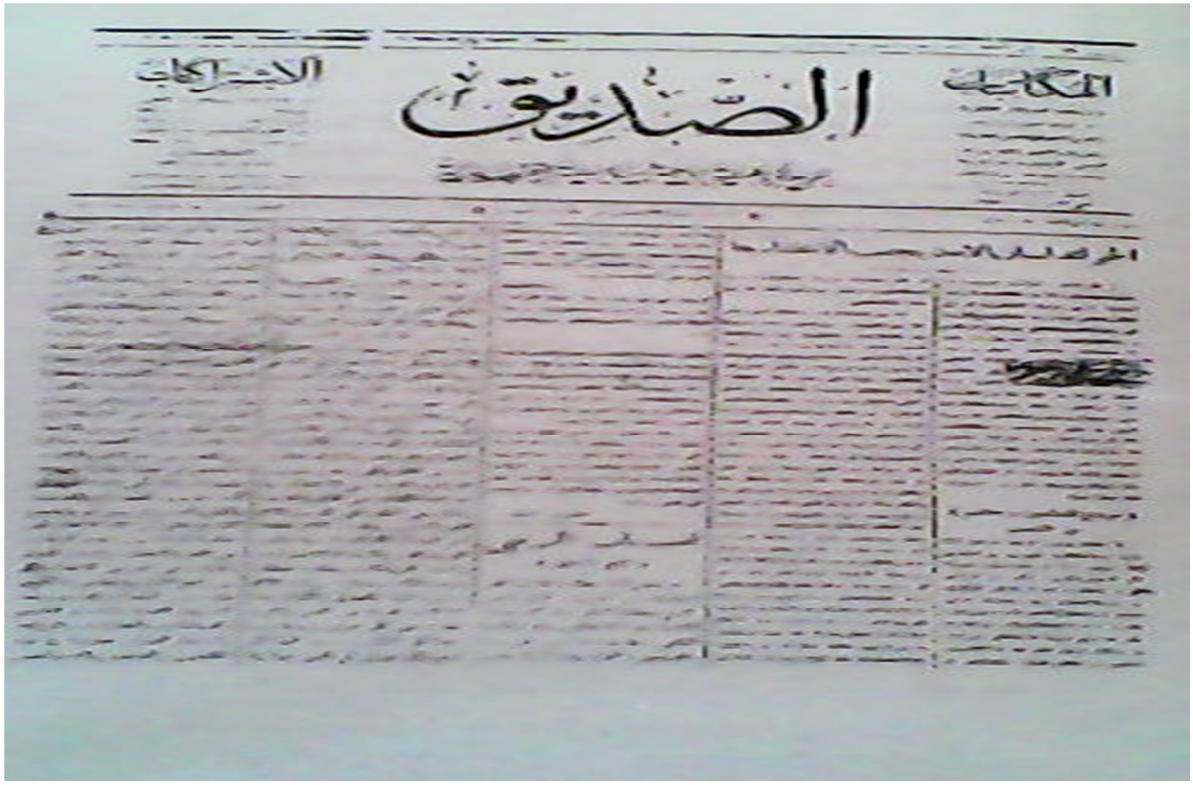

ملحق رقم: 7.

متوسطة أخذت اسم الشيخ مولود الزّريبي[1]

[1] محمد العلمي، مرجع سابق، يوم الأربعاء 2013/05/08 على الساعة 10:00.

الأشعار

الملحق رقم: 8.

النشيد الوطني:

(مجزوء الكامل)

ثـم العيونَ النَّاعِسَهْ عن كلَّ خيْرٍ يُجْتَنَـى
بسط الظـلام جناحـه واليوم نـاح نواحـه
والليل هزّ رماحـه هزم النهـار فمـا أنثنى
دعنـا فَذا زمن مضـى مـاذا تريـد بما انقضـى
وكل الأمـور لمن قضـى وانظـر لمقبـلِ أمرنتـا
فالبشـر لاح علـى البطاح أو مـا ترى فجر الصبـاح؟
وسمعت حي على الفلاح.. الله اكبُـرُ مـاَلَنـا
فربوعنـا قد أقفرت والديـن يشكـو من ضنـى
نفدي بأنفسنـا الوطن وبمـا لنـا أن لا يهـن
فدمـاؤنـا من دون أن يـودي، ويذهـب عزّنـا
فمتـى نفيف من السبات ونسـود كالقـوم السّراة[1]
أبنـي الجزائر بالعـمل يخطـوا بما جـاء الأول
فمـعي الجميـع يقول فل تحـيي الجزائر أمنـا[2]

أيا وطني

(الطويل)

فكم قائـل: داعي الرقى جرائد، وكم قائـل: أن نستجيد النواديا[3]
وكم قائـل: أن نستفيد لثروة، وكم قائـل: نرتاد طورا دفاعيا
وإني أراه العلم بذرا فتجتنـي يوانعـه تحكي العصور الخواليا
فلولاه مـا قـدر النوادي يعظم، ولولاه لـم تدر الجرائد مـا هيا
ولولاه لم تدرك طريقا لثروة، ولولاه قلت العز في صون راسيا

---

[1] السّراة: السادة أو سادة القوم.

[2] محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص ص ص: 164-165-166 .

[3] النواديا: الجرائد وهي الداعي الوحيد للحياة وهي الواعظ المرشد إذا ما صدقت في أهميتها. أنظر: محمد الهادي السنوسي الزّاهري، مرجع سابق، ص ص: 170-171.

ومن غاص في بحر السياسة مدلجا بغير اختيار، صار قطعا مناديا

أقومي دعوني في السياسة جانيا فاخلص منها لا علي ولا ليا

وبعض مغبات المراتب حطة فيا ويح من أدلى لها متداعيا

فسر في ظلال الأرض حيث تقلصت ظلال الإلى شادوا العصور الخواليا

فأخنى عليها الدهر، فالبوم ناحب بها وغراب البين ينعب ناعيا

ولست أرى فيما ذكرت زهادة فما كنت في هذه المقامات صوفيا

وإن عرفوا كل اللغات، وجاوروا فرنسا. وزاروا "لندنا"، " وايطاليا"[1]

زفرات العشي:

وهذا زمان سابق فتفصما وليتنا ندري هل يعود سناها

لعمرك ما ندري ماذا الله صانع وكل غيوب الدهر لسنا نراها

وان زعم الأقوام ليل كهانة فقد اكذب الكهان شمس ضحاها

وما احد ترمي يداه خطوبة بل الواحد القهار ربي رماها

أريتك عما يضمر القلب والحشا من الناس فينا هل ترود علاها

أم الشعب يبغي سوددا بفراشة ولم تجهد الأقران فيه قواها

وذلك محال عادة غير واقع ومن خطب الخنساء أعطى مناها

ومذغض طرف العلم عن طرف الورى تيقنت أن الجهل نال ثواها

ومنذ الجهال تدعوا لجهلها وقد غراها ألقابها وكناها

علمت بأن الحقد منها مسلسل وقد نضجت أكباده وكلاها

فما هو معن عنهم حسد ولا دعاوي علوم ما الفؤاد حواها

فقد فضح المولى مسيلمة وقد أراد فجورا همها وعناها

إذا كنت تأتي بالوساويس برهة بقالب نصح فالعقول تراها

وإني وإن طال الزمان مواصل قريضي وقرض الشعر أبدي عزاها[2]

---

[1] مولود الزّريبي، مصدر سابق ، ص ص: 171- 172 .

[2] نفسه، ص: 63.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1- الكتب بالعربية:

- القرآن الكريم.
- الإبراهيمي محمد البشير، **الآثار**، جم وتق: الإبراهيمي أحمد طالب، د.ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت (لبنان)، 1997، ج4.
- ابن خلدون عبد الرحمان، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط2، دار الكتب العلمية، 2003، مج6، القسم4.
- البكري أبو عبد الله، **المسالك والممالك**، تر: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1993، ج1.
- الحموي ياقوت، **المشترك وضعا والمفترق صفعا**، ط2، دار عالم الكتب، بيروت(لبنان)، 1986.
خير الدين محمد، **مذكرات**، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002.
- الزّريبي مولود، **بدور الأفهام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام**، د.ط، د.د.ن، تونس، 1334هـ.
- الفاسي الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: حجي محمد والأخضر محمد، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج1.
- الورتلاني الحسين، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تح: محمد بن أبي الشنب، د.ط، بيير فونتانا، الجزائر، 1908.

2- الكتب بالفرنسية:

- jonnart M.C, **Zab-ghargui (Situation générale des territoires du sud de l'Algérie)**, imprimerie Administrative victor heintz, Alger, 1907.
- in challamel August, **Biskra et les oasis Enrvir onnantes par l'able jean hurabielle**, librairieie maritime et coloniale, paris, 1898.

ثانيا- المراجع:

- احدادن زهير، **الصحافة الإسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية ثورة في الأوراس باتنة، **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من (1837-1954)**، د.ط، دار الشهاب، باتنة (الجزائر)، د.ت.
- بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2008.

- بوعزيز يحي، **ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحداد**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- حثروبي محمد الصالح، **قطف الجنان في تاريخ الزيبان (دائرة زريبة الوادي)**، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
- حرز الله محمد العربي، **منطقة الزّاب قرن من المقاومة 1830-1930**، د.ط، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.
- حسن محمد، **المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي**، د.ط، جامعة تونس الأولى، 1999، ج1.
- الحسيني علي رضا ، **شخصية المكي بن عزوز وآثاره**، د.ط، دار الحسينية للكتاب، 2002.
- حليمي عبد القادر، **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، دراسة جغرافية المدن**، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.
- الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ج2.
- دي طرازي الفيكونت فيليب، **تاريخ الصحافة العربية**، د.ط، دار صادر، بيروت(لبنان)، 1891.
- راسم عمر، بن قدور عمر، **أعلام الصحافة الجزائرية**، تق: احدادن زهير، د.ط، دار احدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج2.
- ركيبي عبد الله، **الشعر الديني الحديث**، د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- الزّاهري محمد الهادي السنوسي، **شعراء الجزائر في العصر الحاضر**، تق: عبد الله حمّادي، ط2، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج2.
- زردوم عبد الحميد، **بسكرة عروس الزيبان**، د.ط، د.د.ن، د.ب.ن، 2004.
- زردوم عبد الحميد ، **بطاقة تعريف بسكرة**، تر: أمال هدار، د.ط، مطبعة المنار، بسكرة(الجزائر)، 2005.
- زوزو عبد الحميد، **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي، التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1837-1939**، تر: حاج مسعود، دار هومة الجزائر، 2005، ج1.
- سعد الله، أبو القاسم القاضي **الأديب الشاذلي القسنطيني(دراسة ونصوص)**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج5.

- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج8.
- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ج1.
- سعد الله أبو القاسم، **خارج السرب (مقالات وتأملات)**، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- سعد الله أبو القاسم، **شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة**، تص: الإبراهيمي محمد البشير، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- سعيدوني ناصر الدين ، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ج2.
- سعيدوني ناصر الدين، **ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 2000.
- شترة خير الدين، **إسهامات النخبة الجزائر في الحياة السياسية والفكرية التونسية**، د.ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية، أدرار(الجزائر)، 2009.
- شترة خير الدين **الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة 1956م**، د.ط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج1.
- صديق محمد الصالح، **أعلام المغرب العربي**، ط2، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ج1.
- صيد عبد الحليم، **أبحاث في تاريخ الزيبان**، ط1، مطبعة الوادي، الوادي (الجزائر)، 2000.
- طالبي عمار، **بن باديس حياته وآثاره**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت(لبنان)، 1983، ج1.
- العدواني محمد، **تاريخ العدواني**، تق وتح وتعل: سعد الله أبو القاسم، د.ط، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، د.ت.
- العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.
- العربي إسماعيل، **المدن المغربية**، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- عسّاف عسّاف صالح، وشعباني نور الدين، **ولاية بسكرة 07**، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.
- العوامر إبراهيم محمد السّاسي ، **الصروف في تاريخ الصحراء و سوف**، تع: العوامر الجيلاني بن إبراهيم ، ط2، منشورات ثالة، الأبيار (الجزائر)، 2007 .
- كواتي مسعود و سيدي موسى محمد الشريف، **أعلام مدينة الجزائر ومتيجة**، ط2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2010.

- المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، ط2، دار المعارف ودار الكتاب، البليدة(الجزائر)، 1963.
- المدني أحمد توفيق، **هذه الجزائر**، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة(مصر)، د.ت.
- مرتاض عبد الملك، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830-1962)**، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ج2.
- مريوش أحمد، **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية**، ط1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- مصمودي فوزي، **بسكرة بعيون عربية(الرحالة الجغرافيون والمؤرخين والكتاب والشعراء العرب)**، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- مصمودي فوزي، **تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة إقليمها من 1900-1956**، تص: سعد الله أبو القاسم، د.ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة(الجزائر)، 2006.
- مصمودي فوزي، **زهير الزاهري الليانى(صفحات من حياته ونضاله ومواقفه وآثاره)**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة(الجزائر)، 2004.
- مصمودي فوزي، **العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري (1514-1575) شخصيته ومواقفه وآثاره**، د.ط، موفم للنشر، الجزائر، 2008.
- مفدي زكرياء ، **تاريخ الصحافة العربية بالجزائر**، جم وتح: حمدي أحمد، د.ط، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، د.ت.
- منور العربي، **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر**، د.ط، دار المعرفة، باب الوادي (الجزائر)، 2006.
- مياسي إبراهيم، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1939**، د.ط، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- مياسي إبراهيم، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- ناصر محمد، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- ناصر محمد، **المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1932)**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، مج1.
- هلال عمار، **العلماء الجزائرية في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين(14/3هـ)**، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون(الجزائر)، 1995.

ثالثا: المذكرات والأطروحات الجامعية:

- شلوق فتيحة، **العمارة الدينية بمنطقة الزّاب(دراسة أثرية ومعمارية)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الصحراوية، تخصص الآثار الصحراوية، جامعة بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الآثار الصحراوية، السنة الجامعية 2007-2008.
- الطيب كريم، **المعالم الأثرية الإسلامية في منطقة الزّاب الشرقي(دراسة تاريخية وأثرية)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار الصحراوية، تخصص الآثار الصحراوية، جامعة بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الآثار الصحراوية، السنة الجامعية 2008-2009.
- عناق جمال، **المنشآت المائية وطرق استغلالها في منطقة الزّاب الشرقي(دراسة أثرية تاريخية)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار الصحراوية، تخصص الآثار الصحراوية، جامعة بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الآثار الصحراوية، السنة الجامعية 2008-2009.
- فريح لخميسي، **دور العقيد أحمد بن عبد الرزاق حمودة (سي الحواس) في الثورة التحريرية (1954-1959)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص المقاومة والثورة التحريرية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم تاريخ، السنة الجامعية 2008-2009.
- قوبع عبد القادر، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزّاب بين سنتي 1920 و1954**، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص التاريخ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2007-2008.
- كحول عباس، **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزّاب الشرقي 1849-1859م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص المقاومة الوطنية والثورة التحريرية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2010-2011.
- مزهود سليم، **مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في شعبة اللغويات، تخصص اللغويات، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2005-2006 .

رابعا: القواميس والمعاجم والموسوعات ودور المعارف:

- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، د.ت، مج1.
- بن سلامة الريعي، ويس عمار وآخرون، **موسوعة الشعر الجزائري**، د.ط، دار الهدى، عين مليلة (الجزائر)، 2009، مج1.
- حساني مختار، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، د.ط، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج2.
- حمدان محمد والهاشمي بشير، **الموسوعة الصحفية العربية (تونس، الجزائر، الجماهيرية، المغرب، موريتانيا)**، د.ط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1995، ج4.
- الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت(لبنان)، 1995، مج3.
- زكي خور رشيد وآخرون، **دائرة المعارف الإسلامية**، تر: محمد ثابت الفندي وآخرون، د.ط، د.ب.ن، 1997.
- شرقي عاشور، **معلمة الجزائر القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام، معالم)**، تر: أوزعلة عبد الكريم وبن هدوفة أنيس وآخرون، د.ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- الفيروز أبادي محمد بن يعقوب ، **القاموس المحيط**، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط5، دار صادر، بيروت(لبنان)، 1996.
- مرتاض عبد الملك، **معجم شعراء الجزائريين في القرن العشرين**، د.ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- **المنجد في اللغة والأعلام**، الطبعة 42، دار المشرق، بيروت (لبنان)، 2007.
- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، د.ط، مؤسسة نويهض للثقافة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت (لبنان)، 1983.

- خامسا: المقالات الننشورة:

- مريوش أحمد، **(السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري وردود الفعل الوطنية مابين 1900-1930)**، **المصادر**، مجلة سداسية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،، ع: 20، 2009.
- مصمودي فوزي، **(من أعلام بسكرة المعاصرين)**، **الخلدونية**، تصدرها الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة(الجزائر)، ع:8، 2001.

-مصمودي فوزي، **(منطقة الزيبان في الحركة الوطنية والثورة التحريرية)**، **الخلدونية**، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، ع:11، 2013.

-مطمر محمد العيد ، **(التنظيم الإداري وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان منطقة الأوراس)**، **مجلة** العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر(بسكرة)، ع: 4، ماي 2003.

-مياسي إبراهيم، **(احتلال بسكرة 1844)**، **الخلدونية**، تصدرها الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة(الجزائر)، ع: 2، 2003 .

سادسا: المواقع الإلكترونية:

- محمد لعلمي، فقيد العلم والعمل العلامة الشيخ مولود الزّريبي الأزهري، www.wadilarab.kalamfikalam.com يوم الأربعاء 2013/05/08
على الساعة 09:30-10:00.

فهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	...
الشكر	...
قائمة المختصرات	...
مقدمة	أ- ج
الفصل الأول: الأوضاع العامة للزّاب الشرقي (زريبة الوادي)	
أولا: الزّاب الشرقي	06
1. التعريف بالزّاب	06
2. الإطار الجغرافي للزّاب الشرقي	10
ثانيا: الزّاب الشرقي والاحتلال الفرنسي	13
1. مقاومة محمد الصغير بن أحمد بلحاج	13
2. مقاومة الزعاطشة	14
3. مقاومة عبد الحفيظ الخنقي	15
4. مقاومة محمد الصادق بلحاج 1858م	16
ثالثا: الأوضاع السياسية في الزّاب الشرقي	17
رابعا: الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية في الزّاب الشرقي	18
خامسا: الأوضاع الثقافية في الزّاب الشرقي	23
- الحياة التعليمية	23
- الحلة الدينية	24
الفصل الثاني: مولود الزّريبي من النشأة إلى العودة من الأزهر الشريف	
أولا: مولده ونسبه	26
ثانيا: نشأته وتعليمه	27
ثالثا: أخلاقه وسجاياه	30
رابعا: رحلته إلى مصر	33
خامسا: إجازاته العلمية	36
سادسا: عودته للوطن والظروف التي تلقاها من قبل أهل بلدته	37
الفصل الثالث: الزّريبي وإسهاماته في الحركة الإصلاحية والصحفية	
أولا: التعليم بزريبة الوادي	42
ثانيا: التعليم بالأوراس (الحجاج)	47

ثالثا: آثار مولود الزّريبي وفحوى مصدره بدور الأفهام على عقائد بن عاشر الحبر الهمام	49
رابعا: نشاط مولود الزّريبي في مجال الصحافة	55
خامسا: تلامذة مولود الزّريبي	61
سادسا: أشعاره	63
سابعا: وفاته	67
خاتمة	68
ملاحق	71
الببليوغرافيا	78
الفهرس	85